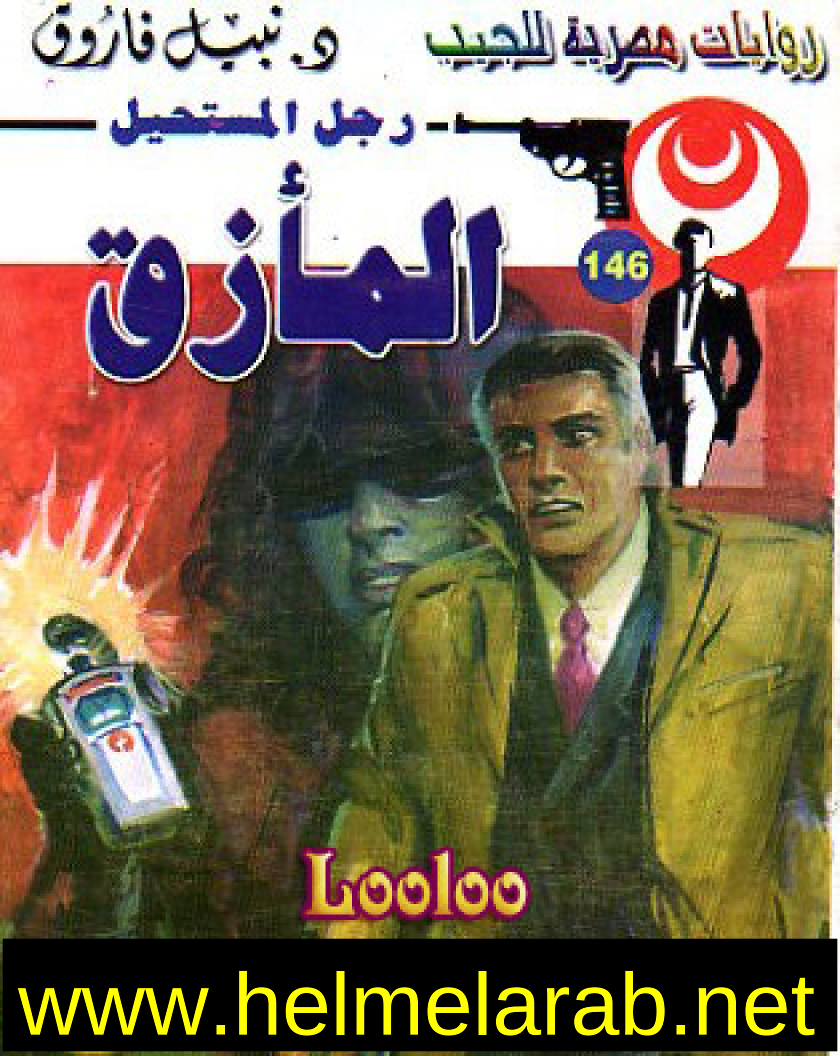

د. نبيل فاروق
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
146
المأزق
Looloo
www.helmelarab.net

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و (المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- زيارة رسمية ..

« انتباه ! »

انطلق الهتاف فى قوة وحزم، مقترنًا بصوت ارتطام الكعوب بعضها بالبعض، فى ضربة آلية واحدة، وارتفعت الأيادى بالتحية العسكرية، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة مدير المخابرات العامة المصرية، وهى تعبر بوّابة القصر الجمهورى، فى لحظة مبكرة من ذلك الصباح، الذى غابت فيه الشمس، واحتجبت خلف غيوم كثيفة، غير مألوفة أو معتادة، فى هذا الوقت من العام ..

وعبر ساحة القصر الجمهورى، اتخذت السيارة مسارها، حتى توقّفت أمام المبنى الكبير، حيث استقبلها مدير مكتب الرئيس شخصيًا، والذى بدا شديد الاهتمام، وهو يصافح مدير المخابرات، قائلاً :

- صباح الخير ياسيّدى .. معذرة لإيقاظك فى هذه الساعة المبكرة، ولكن من الواضح أن الأمر عاجل ومهم للغاية، وسيادة الرئيس ينتظرك فى مكتبه بالفعل.

ابتسم مدير المخابرات ابتسامة هادئة، وهو يقول :

- لابأس .. لقد اعتدت الاستيقاظ مع صلاة الفجر، تمامًا كما يفعل سيادة الرئيس.

كانت عقارب الساعة لم تكد تتجاوز السابعة ، عندما دلف مدير المخابرات إلى مكتب الرئيس ، قائلاً :

ـ صباح الخير يا سيادة الرئيس .

ردّ الرئيس تحيته ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويشير إليه بالجلوس ، ثم يجلس على المقعد المواجه له ، ويميل نحوه ، قائلاً فى اهتمام :

ـ الأمريكيون أرسلوا زائرًا رسميًا إليكم .

بدت العبارة غامضة إلى حدّ ما ، فى ذهن مدير المخابرات ، على الرغم من وضوحها اللغوى ، فقال فى شىء من الحذر ، يقترن عادة بكل من يحتل هذا المنصب شديد الحساسية :

ـ إلينا ؟!

أجابه الرئيس فى حزم :

ـ نعم .. إليكم .

ثم اعتدل جالسًا ، وتابع فى اهتمام شديد :

ـ هم أيضًا يعلمون أننى أستيقظ فى ساعة مبكرة جدًا ، قبل شروق الشمس ، لذا فقد اتصلوا بى فى السادسة

والثلث صباحًا ؛ ليخبرنى رئيسهم بنفسه ، أن أحد مسئولى المخابرات المركزية الأمريكية يرغب فى عقد اجتماع خاص جدًا ، وعاجل جدًا ، مع مدير المخابرات العامة المصرية .

عاد مدير المخابرات يردد ، بنفس الحذر البالغ :

ـ خاص جدًا ، وعاجل جدًا !! ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أطلق الرئيس تنهيدة قوية ، من أعماق صدره ، قبل أن يلوّح بكفيه ، قائلاً :

ـ بالضبط .. هذا هو السؤال ، الذى يحتاج منا إلى كل التركيز .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! أى أمر هذا ، الذى يحتاج إلى اجتماع خاص جدًا ، وعاجل جدًا ، معَ مدير المخابرات العامة شخصيًا .

أطلق مدير المخابرات العنان لأفكاره ، وهو يجيب ، بنفس الحذر المقترن بشخصيته الفريدة :

ـ إنه ليس أمرًا سياسيًا حتمًا ، وإلا لطلبوا مقابلة شخصية عاجلة مع سيادتكم ، أو مع أحد مستشاريكم ، أو حتى مع السيد وزير الخارجية .

تابع الرئيس فى اهتمام :

ـ وهو ليس أمرًا عسكريًا أيضًا ؛ فأنا بحكم منصبى ، القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وهناك وزير الدفاع ، وقادة أفرع الجيش المختلفة .

أشار مدير المخابرات بسبابته ، قائلاً :

ـ تتبقى إذن الأمور الخاصة بنا .. أعمال المخابرات .

التقى حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فنهض مدير المخابرات بدوره ؛ ليتابع فى حزم :

ـ ولكن أعمال المخابرات هى أمور بالغة السرية ، فى أية دولة من دول العالم ، ولا يصح .. بل ولا يجوز رسميًا أن تتم مناقشتها ، أو أن تطالب دولة ما ، أية دولة أخرى ، بأن تفصح لها عما تعتبره من شئونها الخاصة .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ والأمريكيون يعرفون هذا جيدًا ، وعلى الرغم من غطرستهم وتبجحهم فى الآونة الأخيرة ، إلا أنهم قد تعاملوا معنا أكثر من مرة من قبل ، ويدركون جيدًا أننا نضع

كرامتنا ووطنيتنا فوق كل اعتبار ، وأننا لن نتنازل عن حقوقنا أو خصوصيتنا ، مهما كانت الضغوط .. ومهما كانت النتائج أيضًا .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تفكير عميق ، وهو يقول :

ـ ماذا إذن ؟!

شملهما الصمت بضع لحظات ، وكأنما لا يجد أحدهما ما يضيفه ، أو أن كليهما يبحث فى ذهنه عن تفسير منطقى للموقف كله ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن تنحنح ، واستعاد طبيعته العسكرية ، وهو يشد قامته ، فى وقفة حازمة صارمة ، ويقول :

ـ فليكن يا سيادة الرئيس .. إننا أمام لغز ما ، وهذا هو عملنا ، فى جهاز المخابرات .. سنعقد اجتماعًا فوريًا ؛ لدراسة الموقف كله ، وسأطلب من أفضل خبرائنا أن ....

قاطعه الرئيس فى حزم :

ـ الأمريكيون أيضًا توقعوا هذا .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، فى تساؤل قلق ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى تابع :

- لذا فقد لجئوا إلى أسلوب متحايل سخيف ، وأرسلوا رجلهم إلى هنا فعلياً ، قبل مخاطبتنا رسمياً ، وهو الآن فى سفارتهم ، فى حى (جاردن سيتى) ، ويطلب الاجتماع بك فى الثامنة ، بحجة أن طائرة خاصة ستقله إلى (أوروبا) ، فى منتصف النهار ، ولابد أن ينهى مهمته هنا ، قبل سفره إلى هناك .

ازداد انعقاد حاجبى مدير المخابرات ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، وفقاً للمعطيات الجديدة ، قبل أن يقول :

- أظنها محاولة لإثبات قدرتهم على فرض إرادتهم وقتما يشاءون ، وكيفما يشاءون ، ياسيادة الرئيس ؟!

هزّ الرئيس رأسه ، فى قوة وحزم ، وهو يجيب :

- لو أننى شعرت بهذا لحظة واحدة ، لرفضت الأمر كله فوراً ، ودون ذرة واحدة من التردد .. ولكن من الواضح أن لديهم بالفعل ما يريدون التباحث معك شخصياً بشأنه .. ربما هو أمر غير سياسى ، وغير عسكرى كما اتفقنا ، ولكنهم يريدون له شكلاً رسمياً ، على نحو أو آخر ، ولولا هذا لتم الاتصال بين مخابراتهم وبينكم مباشرة .

غمغم مدير المخابرات مؤيداً :

- هذا صحيح .

التقى حاجبا الرئيس ، وأطلّ حزم قوى ، من كل خلية فى وجهه ، وكل لمحة من ملامحه ، وهو يقول فى صرامة :

- فليكن .. لديهم ما يريدون ، ولدينا ما نرغب فى معرفته ، ولن يتحقق هذا أو ذاك إلا باجتماعك بهم .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف بكل الحزم :

- وليقض الله (سبحانه وتعالى) أمرًا كان مفعولاً .

وكان هذا فصل الختام ، فى حوار الرئيس ومدير المخابرات ..

وفصل البداية ، لذلك اللغز الغامض ..

اللغز الأمريكى ..

★ ★ ★

فى تمام الثامنة بالضبط ، وقبل أن يمضى عقرب الثوانى فى طريقه لثانية واحدة إضافية ، وصلت سيارة السفارة الأمريكية ، إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ، فى حى (كوبرى القبة) ، فى قلب (القاهرة) ..

ووفقاً لأوامر المدير ، تم اتباع كافة إجراءات الأمن المعتادة ، دون استثناء واحد ، ودون أن يعترض مندوب المخابرات

الأمريكية بحرف واحد ، حتى اصطحبـه أحد رجال الأمن ، إلى حجرة المدير ، الذى استقبله فى احترام معتـاد ، فى مثل هذه الأحوال ، ولكن دون أية بادرة للحرارة أو المودّة ، ثم دعاه إلى الجلوس ، قبل أن يسـأله فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ لماذا طلبتم الاجتماع بى شخصيًا ؟!

التقط رجل المخابرات الأمريكى نفسًا عميقًا ، ملأ بـه صدره عن آخره ، وكأنه يهم بخوض معركـة شرسـة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ الإدارة لدينا منزعجة جدًا ، بشأن بعض تجاوزاتكم ، التى فاقت كل الحدود .

شبك المدير أصابع كفيه أمامه ، وهو يقـول فى هدوء ، يخفى كل ما يعتمل فى أعماقه :

ـ تجاوزات ؟! وأيـة أمـور تلك التى يمكن تسميتها بهذا المصطلح ، فى عالم المخابرات ؟!

أجابه المندوب الأمريكى فى سرعة :

ـ أمور عديدة .

هزّ المدير كتفيه فى هدوء عجيب ، قائلاً :

ـ فليكن .. لو أنه لديكم أية احتجاجات رسمية ، فيمكنكم أن ..

قاطعه الأمريكى ، فى شىء من العصبية :

ـ لو أن لدينا احتجاجات رسمية ، لما غادرت الولايات المتحدة الأمريكية قط ، ولتولت وزارة الخارجية الأمر كله .

صمت المدير لحظة ، قبل أن يسأله ، بنفس الهدوء الظـاهرى المستفز :

ـ ماذا هناك إذن ؟!

أجاب الأمريكى ، قبل حتى أن يكتمل السؤال :

ـ تجاوزاتكم .

وهنا ضرب المدير سطح المكتب براحته ، قـائلاً فـى صرامة :

ـ أية تجاوزات ؟!

احتقن وجه الأمريكى ، وازدرد لعابه فى توتر ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا الهجوم ، قبل أن يقول :

ـ الخطوط الحمراء .. لقد تجاوزتم كل الخطوط الحمراء .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول بكل الصرامة :

ـ لاتوجد خطوط حمراء فى عالمنا يا رجل .. لسنا مثلكم ، نفعل أى شىء ممكن ، أو غير ممكن ؛ لبلوغ الأهداف والغايات ، بغض النظر عن الطرق والوسائل والأساليب .. إننا وبحكم طبيعتنا ومبادئنا ، والتزامًا منا بعقيدتنا ، نلتزم حتمًا بحدود خاصة ، ونكيّف وسائلنا لتتوافق معها ، بحيث نحقق النجاح ، دون أن نخلّ بالعقيدة ، أو أخلاقيات المهنة .

هزّ الأمريكى رأسه فى قوة ، قائلاً فى حدة :

ـ لاتوجد أخلاقيات لعالم المخابرات ، سوى أن تربح عمليتك ، وتنتصر فى مهمتك ، مهما كانت الوسائل .. وعقيدتنا أن النجاح فى النهاية ، يغفر كل ما سبقه من تجاوزات .

أشار المدير بسبّابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ من وجهة نظركم فحسب .

لوّح الأمريكى بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ فليكن .. هذا شأنكم وحدكم .

أجاب المدير ، بمنتهى الصرامة :

ـ بالتأكيد .

حاول الأمريكى أن يلتقط أنفاسه ؛ للسيطرة على انفعاله الجارف ، الذى دفعه إلى تجاوز الحدود ، وبذل جهدًا خرافيًا ؛ للاسترخاء فى مقعده ، ولكن مدير المخابرات المصرية قال فى حزم ، دون أن يمنحه الفرصة لهذا :

ـ لم نحصل على جواب بعد .

تنحنح مندوب المخابرات الأمريكية ، فى عصبية واضحة ، قبل أن يقول فى شىء من الحدة :

ـ إننى هنا ، بشأن أحد رجالكم .

تراجع المدير فى مقعده ببطء ، وبدا له أنه قد أدرك الهدف أخيرًا ، فتطلع إلى عينى الأمريكى مباشرة ، وهو يردد فى حذر :

ـ أحد رجالنا !

مال الأمريكى إلى الأمام بحركة حادة ، قائلاً :

ـ نعم ..

غلبه الانفعال ، على الرغم منه ، فازدرد لعابه هذه المرة ، قبل أن يكمل فى صوت مبحوح :

ـ (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يعتدل بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ لـ ...

بتر كلمته دفعة واحدة ، قبل أن ينطق الرمز الكودى لـ (أدهم) ، والذى اعتاد أن يخاطبه به دومًا ، من دون اسمه ، وبدا الغضب واضحًا جليًا ، فى ملامحه وصوته ، وهو يقول فى صرامة :

- ماذا عنه ؟!

قال الأمريكى فى توتر ملحوظ :

- رجلكم هذا بالذات ، يتجاوز دومًا كل القواعد والحدود ، عندما يقوم بمهمة ما ؛ حتى إنه لا يبالى بكوننا قادة النظام العالمى الجديد ، وزعماء الـ ...

قاطعه المدير فى صرامة ؛ ليمنعه من مواصلة كلماته المتباهية السخيفة :

- ومن يبالى ؟!

اتسعت عينا الأمريكى ، وهو يحدق فيه بدهشة بالغة ، وكأنما لا يصدق ما سمعه ، فواصل المدير ، بكل صرامة الدنيا :

- دعنى أذكركم بقاعدة مهمة ، فى عالم المخابرات ، فالعمل هو العمل ، وكل جهاز يؤدى دوره ، وفقًا لمقتضيات

الموقف ، ومتغيرات الأمور والأحداث فى وطنه ، وفى المنطقة المحيطة به ، وكل رجل هنا يؤدى واجبه ، بكل إخلاص وأمانة وصدق وتفان ، وكلهم مستعدون للموت ، دون ذرة واحدة من التردُّد ، فى سبيل عقيدتهم ووطنهم ، فمن أنتم حتى تأتوا بكل غطرسة الدنيا ؛ لتطالبونا بألا نؤدى عملنا وواجبنا ؟! من تكونون ، حتى تحاولوا دفعنا إلى مسار واحد ، تختارونه لنا بأنفسكم ؟!

ثم نهض بحركة حادة ، انتفض لها جسد الأمريكى على نحو غريزى ، وهو يواصل ، بنفس الصرامة :

- لو أن هذا هو السبب الوحيد لاجتماعكم بنا ، فيمكنك أن تعتبر أن هذا ردنا النهائى .

هتف الأمريكى فى غضب :

- ولكننى لم أطرح مطلبنا بعد .

صاح به مدير المخابرات :

- المبدأ نفسه مرفوض .. لن نسمح لكم بالتدخُّل فى شئوننا الخاصة أبدًا .

هبَّ الأمريكى واقفًا ، وهو يقول فى حدة :

- مهما كانت النتائج ؟!

شدّ مدير المخابرات قامته ، وأجاب بكل الحزم :

ـ مهما كانت النتائج .

انتفض جسد الأمريكي في قوة ، واحتقن وجهه بشدة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر كبالون منتفخ ، من فرط انفعاله ، في حين عقد مدير المخابرات ساعديه أمام صدره في صرامة ، و ....

ـ « أنا مُصِرّ .. »

نطقها الأمريكي فجأة ، بصوت حاد رفيع ، بدا وكأنه قد تجاوز حلقه بدفعة واحدة مباغتة ، وهو يضمّ حقيبته في شدة إلى صدره ، على نحو يوحي بأنها تحوي شيئًا بالغ الأهمية ، فسأله المدير في صرامة :

ـ علام تصرّ ؟

أجابه الأمريكي ، في سرعة وعصبية :

ـ على استكمال المفاوضات .

أشار المدير براحته ، قائلاً في صرامة شديدة :

ـ لا تفاوض في هذا الشأن .

جلس الأمريكي بحركة عصبية ، وهو يفتح حقيبته ، قائلاً في عناد :

ـ لابد أن تسمعوا عرضنا أولاً .

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، وهو يدير الأمر في رأسه ، فتابع مندوب المخابرات الأمريكية في شيء من الحدة :

ـ وأن تتشاور فيه مع الرئيس شخصيًا ، قبل اتخاذ أي قرار .

رمقه مدير المخابرات بنظرة صارمة ، قبل أن يعود للجلوس على مقعده ، ويقول بنفس الصرامة :

ـ وما عرضكم هذا ؟!

التقط الرجل من حقيبته عدة أوراق ، ووضعها أمام مدير المخابرات ، وهو يقول في سرعة :

ـ الكونجرس وافق على منحكم ضعف المساعدات المالية والعسكرية الحالية ، وزيادة نسبة التعاون الفني بيننا ثلاث مرات ، كما وافق على فتح الأسواق الأمريكية أمام منتجاتكم ، و ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ والثمن ؟!

تراجع المندوب الأمريكى فى مقعده ، قائلاً :

ـ أنتم تعرفون الثمن .

مال المدير نحوه ، قائلاً فى صرامة :

ـ حياة (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟!

استعاد الأمريكى لونه الطبيعى ، والكثير من هدوئه وثقته بنفسه ، وهو يقول :

ـ ليس بالضرورة .. حياته أو موته لايعنياننا كثيرًا فى الواقع .

ثم التقى حاجباه ، وهو يميل إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ المهم ألا يبقى .

تراجع مدير المخابرات فى مقعده ، دون أن يرفع عينيه عن وجه الرجل ، الذى تابع ، وقد استعاد ثقته كاملة :

ـ هناك وسائل عديدة ، فمن الممكن إحالته إلى التقاعد ، أو نقله إلى وظيفة إدارية ، فى جهاز أمنى آخر ، أو حتى منحه منصبًا قياديًا ، فى وزارة السياحة ، أو هيئة البترول ، أو ......

قاطعه المدير بكل الحزم والصمم :

ـ (أدهم) سيبقى .

تطلّع إليه الأمريكى فى صمت ، فتابع بنفس اللهجة :

ـ وقرار اعتزاله يعود إليه ، أو إلى تجاوزه السن القانونية للعمل .. وحتى فى الحالة الأخيرة ، أظن أن أى مدير قادم للمخابرات ، لن يتردّد لحظة واحدة ، فى التعاقد معه شخصيًا ؛ للاستفادة من كل خبراته السابقة .

ثم أشار بسبابته ، مضيفًا فى صرامة :

ـ ما لم يطلبه الرئيس ، كمستشار أمنى خاص بالطبع .

صمت الأمريكى طويلاً هـذه المرة ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قبل أن يقول فجأة ، فى شىء من الحزم :

ـ ألن تتحاور مع الرئيس أولاً ؟

أجابه مدير المخابرات فى صرامة :

ـ لن يختلف رأى سيادة الرئيس كثيراً ، عما سمعته منى الآن .

قال الرجل فى تحدٍ :

ـ أأنت واثق ؟!

عقد المدير ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى حسم :

ـ تمام الثقة .

ارتسمت ابتسامة غامضة ، على شفتى الأمريكى ، وهو يلتقط مجموعة أوراق جديدة من حقيبته ، ويضعها أمام مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ الأفضل ألا تسرف فى الثقة .. أو التفاؤل .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيفاً :

ـ قبل أن تطالع الجزء الثانى من عرضنا هذا .

التقط مدير المخابرات الأوراق ، فى حذر قلق ، وانحنى يطالعها فى اهتمام ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويتفجر الغضب من كل ذرة فى كيانه بلا استثناء ..

فالجزء الثانى من العرض الأمريكى ، كان يتجاوز الحدود بالفعل ..

كل الحدود .

* * *



٢ ـ العرض الوقح ..

« كل شيء ينهار .. »

انطلقت الصيحة ، بكل توتر الدنيا ، عبر شبكة الاتصال المحدودة ، داخل مقر مستر (X) ، زعيم أكبر منظمة للجاسوسية الخاصة في العالم ، فانعقد حاجبا هذا الأخير في شدة ، وهو يقول في عصبية ، قلما اكتسبها صوته :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن تسوء الأمور بهذه السرعة ! هذا المقر يعتبر حصناً حصيناً ، بالقياس إلى كل ما أحطناه به ، من وسائل الحماية والدفاع .

هتف مساعده الأول ، عبر شبكة الاتصالات ، وكل حرف من حروف كلماته يرتجف على شفتيه ، من فرط التوتر والانفعال :

ـ إنهم يهاجمون نقاط تحصيناتنا ، ومقار دفاعاتنا مباشرة ، وكأنهم يحملون خريطتنا الدفاعية السرية .. لقد حصلوا عليها يا مستر (X) .. حصلوا عليها حتماً ، بوسيلة ما .

التقى حاجبا مستر (X) بمنتهى الشدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! مستحيل !

هتف المساعد ، وصورته تهتز ، على شاشة جهاز الاتصال المحدود :

ـ لم يعد مستحيلاً أيها الزعيم .. لقد صار حقيقة .. حقيقة مرعبة مفزعة .. إننا نحيا كابوساً بشعاً ، لم نتصور مجرد حدوثه .. كل شيء من حولنا ينهار ، بسرعة .. كل شيء .. كل شيء ..

صرخ بكلماته الأخيرة ، وقد تضاعف انفعاله بشدة ، حتى خيل لمستر (X) أن الرجل قد أصيب بالجنون ، من فرط الرعب والانهيار ، فازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول في صرامة عصبية :

ـ فليكن .. لدينا خطة أخيرة ، و ....

قبل أن يتم عبارته ، نقلت إليه أجهزة الاتصال دوي رصاصة ، امتزجت بشهقة مكتومة من مساعده ، الذي بدا على الشاشة متسع العينين ، متفجراً بالألم والرعب ، قبل أن تسيل الدماء فجأة ، من ثقب في جبهته ، ثم يسقط كالحجر ..

وانتفض جسد مستر (X) في عنف ، وهو يهب من مقعده بحركة حادة ، ويحدق في شاشة جهاز الاتصال المحدود ،

التى حملت صورة امرأة فاتنة ، تقدمت نحوها فى هدوء ، وهى تحمل مسدسًا ، ما زال الدخان يتصاعد منه ، وهى تقول فى سخرية :

ـ مرحبًا يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك لم تتوقع أبدًا أن أتحدث إليك يومًا ، من داخل مقرك الطريف هذا .. أليس كذلك ؟!

بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحدق فى وجهها ، الذى ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

ـ الواقع أننى كنت أنتظر شخصًا آخر .

هزت كتفيها ، قائلة فى لامبالاة :

ـ أعلم هذا .

علا حاجباه يلتقيان فى عصبية ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .

ثم التقطت من علبة سجائرها الذهبية سيجارة ، ذات لون أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقداحة مرصعة بالماس ، ونفثت دخانها فى استمتاع واضح ، قبل أن تقول :

ـ فأنا أعلم مثلاً ، أنك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ، أسفل القاعة التى أقف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى تجعل الوصول إليك ضربًا من المستحيل .

قال فى صرامة :

ـ هذا صحيح .

أردفت فى سرعة :

ـ من وجهة نظرك فقط .

نطقتها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تميل نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سيجارتها نحوها ، متابعة :

ـ ففى طريقى إلى هنا ، مررت بمعمل البروفسير (براون) ،

التى حملت صورة امرأة فاتنة ، تقدمت نحوها فى هدوء ، وهى تحمل مسدسًا ، مازال الدخان يتصاعد منه ، وهى تقول فى سخرية :

ـ مرحبًا يا زعيم الحمقى الغامض .. أراهن على أنك لم تتوقع أبدًا أن أتحدث إليك يومًا ، من داخل مقرك الطريف هذا .. أليس كذلك ؟!

بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحدق فى وجهها ، الذى ملأ شاشة الاتصال ، قائلاً :

ـ الواقع أننى كنت أنتظر شخصًا آخر .

هزت كتفيها ، قائلة فى لامبالاة :

ـ أعلم هذا .

علا حاجباه يلتقيان فى عصبية ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنك تعلمين الكثير .

أشارت بسبابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .

ثم التقطت من علبة سجائرها الذهبية سيجارة ، ذات لون أحمر زاه ، دستها بين شفتيها الجميلتين ، وأشعلتها بقداحة مرصعة بالماس ، ونفثت دخانها فى استمتاع واضح ، قبل أن تقول :

ـ فأنا أعلم مثلاً ، أنك تختبئ الآن ، داخل مقرك الخاص ، أسفل القاعة التى أقف فيها الآن ، وأن تصميمات المبنى تجعل الوصول إليك ضربًا من المستحيل .

قال فى صرامة :

ـ هذا صحيح .

أردفت فى سرعة :

ـ من وجهة نظرك فقط .

نطقتها ، ثم أطلقت ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تميل نحو الشاشة أكثر ، وتنفث دخان سيجارتها نحوها ، متابعة :

ـ ففى طريقى إلى هنا ، مررت بمعمل البروفسير (براون) ،

وأدرت معه حوارًا هادئًا لطيفًا ، أثبت صحة وجهة نظـرى ، تجاه هؤلاء العلماء ؛ فمع أول إظفر انتزعناه من سبابته ، انهار تمامًا ، وسلمنا كل التصميمات ، الخاصة بنظام الدفاع والحماية الإليكترونية للمكان كله ، وشرح لنا كيفيـة تجاوز كل الحواجز .

احتقن وجه مستر (X) ، من فرط الغضب ، مع ضحكتهـا العابثة الثانية ، التى حملت قدرًا رهيبًا من السخرية ، قبل أن تتابع :

– وهذا يثبت أيضًا أنك مازلت تحمل لمحة من الحماقة فى أعماقك يا عزيزى الزعيم .. السابق .. فلو أننى فى موضعك لما تركت الرجل الذى يعرف أسرار دفاعاتى على قيد الحياة ، ودون حراسة أو حماية أيضًا .. لاتحمل فى قلبك ضغينة تجاهى يا عزيزى ، ولكن هذا التصرف كان شديد الحماقة بالفعل .

اقترنت عبارتها الأخيرة بأزيز جهاز إنذار خاص ، داخل

مخبئه الحصين ، يشير إلى أن بعضهم قد تجاوز الدفاعات الرئيسية للمخبأ ، وأن سقوطه أصبح مسألة وقت فحسب ، فازداد احتقان وجه مستر (X) ، وقال فى غضب هادر :

– ستدفعين الثمن غاليًا أيتها الحقيرة .

أطلقت ضحكة عالية ، إثر عبارته الغاضبة ، وقالت بمنتهى السخرية :

– أدفع الثمن .. ولمن تتوقع أن أدفعه بالضبط ، يا زعيم المتحذلقين ؟!

جذب مستر (X) شريحة خاصة ، فى قاعدة جهاز الاتصال ، وراحت أصابعه العصبية تضغط مجموعة من الأزرار الدقيقة ، المثبتة على سطحها ، فى تتابع مدروس ، وهو يقول :

– لاتتباهى إلى هذا الحد أيتها الحقيرة .. ربما تسير الأمور ، على عكس ماتتصورين ، على الرغم من أن الأمور كلها قد توحى بخلاف هذا .

ارتفع حاجباها ، فى دهشة ساخرة ، وهى تهتف :

ـ حقًا ؟!

ثم عادت تميل نحو الشاشة ، متابعة :

ـ ولكن معذرة يا عزيزى ، فلو أنك تقصد نظام التدمير الشامل ، الذى لايدرك رجالك وجوده ، والذى لايمكن التحكم فيه ، إلا بوساطة تلك الشريحة الخاصة ، فى قاعدة جهاز الاتصال المحدود ، داخل المخبأ السرى ، فيؤسفنى أن أخذلك ، بقولى : إننا قد أتلفنا وصلاته الرئيسية ، فور نجاحنا فى اقتحام مقرك هذا .

وأطلقت ضحكة عابثة أخرى ، مضيفة :

ـ باختصار يا عزيزى مستر (X) ، لقد أصبحت أشبه بفأر حقير ، داخل مصيدة محكمة ، ليس أمامه سوى انتظار لحظة وصول القط ؛ ليلهو به قليلاً ، ثم يلتهمه فى النهاية بلا رحمة .

حمل صوته كل غضب الدنيا ، وهو يهتف :

ـ هذا ما تتصورينه أيتها الحقيرة .

هزت كتفيها فى لامبالاة ، وألقت سيجارتها بعيدًا ، وهى تقول فى استهتار واثق :

ـ إنها مسألة وقت فحسب .

كان جهاز الإنذار الثانى ، داخل مخبأ مستر (X) ، قد انطلق أيضًا ، معلنًا انهيار الدفاعات الثانوية ، إلا أن الرجل ضغط زر إنهاء الاتصال ، وهو يقول فى حدة :

ـ صحيح أنك لست من كنت أتوقعها ، وأنك أكثر مهارة وبراعة ، من كل ما تصورته ، ولكن هذا لايعنى أننى قد خسرت المعركة كلها .

ثم استدار يضغط زرًا خفيًا ، فى جدار المخبأ الخلفى ، وهو يضيف فى مقت شديد :

ـ إنها مجرد جولة .

انزاح الجدار الخلفى فى خفة ، ودون أدنى صوت ؛ ليكشف خلفه زورقًا آليًا مصفحًا ، يستقر فوق سطح مياه جدول صناعى ، يتصل بالمحيط مباشرة ، فوثب إليه ، مكملاً :

ـ والبروفسير (براون) لم يكن وحده مبتكر كل شيء .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتـى كـان مقـاتلو تلك القاتلة الغامضـة يقتحمـون المكـان ، بمنتهـى القـوة والعنف ، و ...

« اختفى ؟! »

هتفت هي بالكلمة فى غضب مكتوم ، عندمـا أبلغهـا الرجال بالأمر ، وأشعلت سيجارة أخرى ، فى توتر ملحوظ ، قبل أن تقول فى صرامة :

ـ خطأ .. أكبر خطأ .. كان من المحتم أن يلقى مصرعه هنا .. لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لهذا !

أجابها قائد فرقها فى توتر :

ـ مـن الواضـح أن معلوماتنـا لـم تكـن كاملـة أيتهـا الزعيمة .. كان هناك نفق فرار مائى سرى ، يتصل بالمحيط مباشرة ، ولقد رصد رجالنا زورقاً مصفحاً ، ينطلق بسرعة خرافية ، مبتعداً عن هنا ، وعندمـا أطلقوا النـار نحـوه ، ارتدت رصاصاتهم ، ثم غاص فى أعماق المحيط ، واختفى

تماماً عن الأنظار .. حتى طائرات الهليكوبتر عجزت عن العثور عليه .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى توتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ زورق مصفّح ، يمكنه أن يتحول إلى غوّاصة صغيرة !! أسلوب بارع بحق يا مستر (X) .. لقد ربحنا الجولـة ، ولكننا لم نربح المعركة كاملة ..

نفثت دخان سيجارتها بضع لحظات ، قبل أن تتابع :

ـ فليكن .. لن يفسد هذا خطتنا المستقبلية .

وأدارت عينيها إلى قائد قواتها ، مستطردة :

ـ سننتقل إلى الفصل التالى من الخطة مباشرة .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عن هذا المقر ؟! هل نستولى على كل الأسلحة والأجهزة التكنولوجية ، و ....

قاطعته فى صرامة :

ـ انسف المكان كله فحسب .. فوراً .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وهو يقول :

ـ أنسفه ؟! هذه الأشياء تساوى ثروة طائلة ، و ....

قاطعته بصيحة هادرة :

ـ نفذ الأوامر .

ثم اتجهت نحو الهليكوبتر الخاصة بها ، وهى تضيف فى صرامة شرسة ، ولهجة قاسية حاسمة :

ـ أنا وحدى أعلم ، لماذا أفعل كل هذا ؟!

قالتها ، ووثبت داخل الهليكوبتر ، مستطردة :

ـ لا تترك ذرة واحدة سليمة .. هل تفهم ؟ ذرة واحدة !

وارتفعت بها الهليكوبتر ، وانطلقت مبتعدة ، تاركة القائد خلفها ، فى حيرة كبيرة ، لم يلبث أن حسمها ، هاتفاً برجاله فى صرامة :

ـ استعدوا لنسف كل شىء .. فوراً .

كانت الهليكوبتر قد ابتعدت بها كثيراً ، عن المقر السرى لمستر (X) ، عندما سطع ضوء الانفجار الهائل فى السماء ، فتألقت عيناها ، وأشعلت سيجارة جديدة ، مغمغمة :

ـ عظيم .

فنسف المقر السرى لمستر (X) ، كان بالنسبة إليها بداية العملية الكبرى القادمة ..

العملية التى ستغيّر وجه العالم كله ..

إلى الأبد ..

* * *

انعقد حاجبا (أدهم صبرى) ، فى صرامة غاضبة ، وهو يطالع تلك الأوراق ، التى قدّمها لـه مدير المخابرات ، قبل أن يعيدها إليه ، قائلاً :

ـ الواقع أنه عرض وقح للغاية يا سيّدى ، ويضع وطننا كله فى مأزق سخيف .

أشار المدير بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ سيادة الرئيس قرر رفض العرض كله يا (ن ـ ١) .. بل وتقديم احتجاج رسمى عليه ، فى كل المحافل الدولية ، وبخاصة فى الأمم المتحدة(*) ، ومجلس الأمن(**) .. الأمريكيون لن يفرضوا إرادتهم علينا أبدًا ، مهما كان الثمن .. لقد أبلغتك بالأمر ، فقط لأنك أحد أطرافه ، ومن حقك أن تدرك ما يدور من حولك .

بدا (أدهم) شديد الاهتمام ، وهو يقول :

ـ إننى أحترم تمامًا موقف سيادة الرئيس ياسيدى ، وأدرك جيدًا أنه من المستحيل أن يقبل مثل هذا العرض الوقح ، حتى ولو كان الأمريكيون هم أكبر قوة ضاربة فى العالم كله ، وزعماء النظام العالمى الجديد ..

(*) الأمم المتحدة : منظمة دولية ، تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية ، لتحل محل عصبة الأمم ، فى حفظ السلام ، وحل المنازعات الدولية ، وتحقيق التعاون الدولى ، الاقتصادى والاجتماعى ، ولقد وقعت إحدى وخمسون دولة على ميثاق الأمم المتحدة ، فى ٢٦ يونيو ١٩٤٥ م ، والفروع الرئيسية للأمم المتحدة هى : الجمعية العامة ، مجلس الأمن ، المجلس الاقتصادى والاجتماعى ، مجلس الوصاية ، محكمة العدل الدولية ، والأمانة العامة .

(**) مجلس الأمن : أحد أفرع الأمم المتحدة ، والمسئول عن فض المنازعات الدولية ، ولقد اجتمع لأول مرة ، فى يناير ١٩٤٩م .

أدرك أنه لن يقبل عرضهم ؛ لأن دماءه الحرة تأبى عليه أن يقبله ، وترفض بكل شمم وإباء أن تحاول أية دولة فى الوجود ، أن تفرض إرادتها على شعبنا وتاريخنا ، ولكن الأمريكيين يمرون الآن بحالة غير طبيعية ، من زهو القوة ، والتعطش لرائحة الدم ، والتجاهل التام لكل القوانين ، والقواعد ، والأعراف الدولية أو الإنسانية ، وما فعلوه هم والبريطانيون فى (العراق) ، متجاوزين كل شىء ، وكل قانون ، ومعلنين تأييدهم لقانون القوة وشريعة الغاب ، هو أكبر دليل على وحشية هذا الزمن .

قال المدير فى حزم :

ـ نحن نعلم كل هذا ، ومازلنا نرفض الاستسلام لإرادة الأمريكيين يا (ن ـ ١) .. سندافع عن حريتنا واستقلالنا ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات .

صمت (أدهم) لحظة ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى حزم واضح :

ـ ليس من العدل يا سيِّدى ، أن يضحىَ شعب كامل ، من أجل فرد واحد ، مهما كانت أهميته .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

ـ إنهـا ليست مسـألة فـرد واحد يا (ن ـ ١) .. الأمر يتجاوز هذا بكثير ، ولو أن المشكلة تكمن في علاقتك بجهاز المخابرات فحسب ، لكان من الممكن أن نتخذ قرارنا ، ولكن الواقع أنهـا لعبـة فـرض إرادة ، ولـو استسـلمنا للإنـذار الأمريكي هذه المرة ، سيتمادون أكثر وأكثر ، في المرة القادمة .

شدّ (أدهم) قامته ، قائلاً :

ـ إنهم سيتمادون في كل الأحـوال يا سيّدي .. تجربتهم في مشكلة (العراق) تثبت هذا .

تراجع المدير في مقعده ، قائلاً في حزم :

ـ أنت رجل مخابرات فريد يا (ن ـ ١) خبير في مهنتك ، مدهش في قدراتك ، وسيّد بلا منازع في عالمنا هذا ، ولكن لو أن براعتك فـي السياسـة تقـارب براعتـك فـي عمـل المخابرات ، لأدركت أن الفارق شاسع ، بين موقفنا وموقف (العراق) السابق ، وأن ..

ـ « أرجو قبول استقالتي يا سيّدي .. »

قاطعه (أدهم) بقوله هذا فجأة ، فاتسعت عينا المدير ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ماذا ؟!

شدّ (أدهم) قامته أكثر ، وهو يقول ، بلهجة رجل حسم أمره ، واتخذ قرارًا لا رجعة فيه :

ـ يبدو لي حلاً مثاليًا ، من جميع الوجوه يا سيّدي .

حدّق فيه المدير لحظة أخرى ، قبل أن يضرب سطح المكتب براحته ، هاتفًا في صرامة :

ـ خطأ يا (ن ـ ١) .. خطأ .. لو استقلت من عملك الآن ، سيتصوّر الأمريكيون أننا قد أجبرناك على تقديم استقالتك ؛ تنفيذًا لمطالبهم ، وأننا قد خضعنا لعرضهم الوقح هذا .

قال (أدهم) في توتر :

ـ واستمراري في العمل سيضع (مصر) كلها في مأزق سخيف يا سيّدي ، وسيضطرها إلى الدخول في صراع ، يتعارض مع كل مشروعاتها للتنمية ، وخططها للمستقبل ، وكمصري مخلص لوطنه ، أنأى بنفسي عن التسبّب في حدوث هذا .

هزّ المدير رأسه نفيًا في قوة ، وهو يقول :

ـ ليس من حقك أن تتخذ القرارات ، في موقف كهذا ، يخص الأمة كلها ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بك شخصيًا .

التقط (أدهم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ صدقني ياسيدي .. أنا أشعر بالإرهاق الشديد ، منذ فترة من الوقت ، وأحتاج بالفعل إلى إجازة طويلة نسبيًا ، أستعيد خلالها نشاطي ، وأسترجع حيويتي ، والآن ، وفي مثل هذه الظروف ، يبدو لي أنه لافارق بين إجازة طويلة ، واستقالة فورية .. على الأقل ، الأخيرة ستحسم الموقف كله الآن .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، ويقول في بطء :

ـ إجازة طويلة ؟! فكرة لابأس بها على الإطلاق .

ثم عاد يعتدل بحركة حادة ، وأشار نحو (أدهم) بسبابته ، مستطردًا في حماسة :

ـ إنه حل عبقري يا (ن ـ ١) .

أطلّ التساؤل من عيني (أدهم) ، فتابع المدير بنفس الحماسة :

ـ تقدّم إلى شئون الأفراد بطلب إجازة طويلة .. إجازة لمدة شهر مثلاً .. هذا حقك القانوني ؛ لأنك لم تحصل على أية إجازات اعتيادية ، منذ عدة سنوات .. وعلى نحو روتيني تمامًا ، ستتم الموافقة على طلب إجازتك ، بتاريخ سابق لليوم ، أي أنك ، ومن الناحية الرسمية ، ستكون في إجازة رسمية ، منذ صباح أمس ، أي قبل أن يقدم الأمريكيون عرضهم الوقح .

تساءل (أدهم) :

ـ وهل سيصنع هذا فارقًا ؟!

أجابه المدير ، في سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مضيفًا :

- سيمنحنا هذا شهراً كاملاً على الأقل ؛ لدراسة الموقف ، وبحثه ، وتقييمه ، واتخاذ ما يلزم بشأنه .

تردد (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

- أخشى أنه مجرد تأجيل للمواجهة فحسب .

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- عبارة لا ينبغى أن ينطقها رجل مخابرات محترف يا (ن - ١) فالوقت هو أفضل ما يمكن أن يحظى به أى جهاز مخابرات ؛ لتجاوز العقبات ، وتحقيق المستحيلات .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يشير بيده ، قائلاً فى حزم :

- ثم من يدرى ، كيف يمكن أن تتطور الأمور ، خلال شهر كامل ..

ولم يدرِ المدير لحظتها ، كم كانت عبارته صادقة ..

فمن يدرى ، كيف تتطور الأمور ، خلال شهر كامل ؟!

بل خلال أسبوع واحد !!

من يدرى ؟!

هذا هو السؤال .

* * *



٢- إنـــذار..

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكى فى شدة، وهو يطالع الورقة التى وضعتها مستشارته الأمنية الخاصة أمامه، وقال فى حدة:

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابته مستشارته الأمنية السمراء، بلهجة باردة كملامحها:

- كما ترى يا سيادة الرئيس .. إنه إنذار.

استشاط الرئيس الأمريكى غضبًا، وهو يهتف:

- إنذار ؟! ومن ذا الذى يجرؤ على توجيه إنذار لنا .. نحن أقوى دولة فى العالم، وزعماء النظام العالمى الجديد، و ....

قاطعته مستشارته الأمنية، فى لهجة صارمة قاسية، لا تتناسب مع وضعها السياسى:

- المنطقة التاسعة والأربعون، تمت إزالتها تمامًا من الوجود.

حدق فيها الرئيس الأمريكى، فى دهشة تمتزج بلمحة ذعر، وهو يقول:

- المنطقة التاسعة والأربعون ؟! عن أية منطقة تتحدثين بالضبط ؟!

اعتدلت، مجيبة فى برود غاضب:

- عن القاعدة العسكرية السرية، فى صحراء (نيفادا)، والتى تحمل الرمز الكودى (المنطقة التاسعة والأربعين)، والتى لا يعلم بوجودها سوى عدد محدود، من كبار القادة والجنرالات .. تلك القاعدة، التى تحوى عددًا من أسلحتنا السرية التجريبية، أصابها سلاح مجهول، على نحو تسبب فى سحقها سحقًا، وإزالتها من الوجود تمامًا.

بلغت دهشته حد الذهول، وهو يحدق فى وجهها، على نحو جعلها تقول فى حدة:

- سيادة الرئيس .. أحتاج إلى رأيك فى هذا الشأن.

انتفض الرئيس الأمريكى، كما لو أنه يفيق من سبات عميق، وهتف بكل توتر الدنيا:

- رأيى أنا ؟!

انعقد حاجباها ، على نحو منحها مظهرًا أكثر قســوة وصرامة ، وهى تقول :

ـ أنت رئيس البلاد ، والقرار قرارك .

هتف فى عصبية :

ـ أين وزير الدفاع ؟! أين نائب الرئيس ؟! أين الـ ...

قاطعته مرة أخرى ، فى لهجة صارمة قاسية :

ـ سيادة الرئيس .. ألن تطالع الإنذار أولاً ؟!

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكى فى شدة ، والتقط منظار القراءة الخاص به ، وهو يقول فى حدة :

ـ بالتأكيد .

ثم صاح بها فى غضب ، وهو يلتقط الإنذار مرة أخرى :

ـ وفى المرة القادمة ، حاولى أن تتحدثى إلىّ بأسلوب أكثر لياقة .. أنا رئيس أقوى دولة فى العالم .

غمغمت فى ضجر :

ـ أعلم هذا .

جرت عيناه فى سرعة ، على كلمات ذلـك الإنذار ، الذى وصل إلى (البيت الأبيض) ، مقر الرياسة الأمريكية ، عبر جهاز الفاكس ، الخاص بمستشارة الأمن القومــى شخصيًا ، وعاد مزيج من الدهشة والغضب يتصاعد فى أعماقه ، قبل أن يهتف فى حدة ، وهو يلقى الإنذار جانبًا :

ـ كيف يجرءون ؟!

أجابته مستشارة الأمن فى سرعة :

ـ يجرءون ؛ لأنهم أعطونا دليلاً على قوتهم بالفعل ، يا سيادة الرئيس ، عندما أزالوا المنطقة التاسعة والأربعين من الوجـود ، بسلاح ما زال الخبراء يجهلون ماهيته ، حتى هذه اللحظة .

ثم أشارت إلى الإنذار ، مستطردة :

ـ ومن الواضح أنهم يستعدون لإثبات قوتهم مرة أخـرى ، فقد طلبوا منا متابعة هبوط مكوك الفضاء ، الذى سيصل إلى الأرض ، خلال اثنتى عشرة دقيقة من الآن .

ـ بدا عليه التوتر ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكن أن يفعلوه به ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

ـ لا أحد يدرى .

ثم استدركت فى سرعة :

ـ ولكننى أمرت بمتابعة عملية الهبوط لحظة فلحظة ، ورصد أية ظواهر غير طبيعية ، ترتبط بها ، على نحو مباشر ، أو غير مباشر .

انتزع الرئيس الأمريكى منظاره عن عينيه ، وهو يقول فى توتر شديد :

ـ الأمر شديد الخطورة ، فلا يمكننا أن نسمح لأية دولة بتهديدنا على هذا النحو ، دون أن نتخذ إجراءً شديد العنف والصرامة ضدها ، وإلا سقطت هيبتنا الدولية ، وضاعت مصداقيتنا كدولة عظمى ، تتزعم النظام العالمى الجديد .

عقدت مستشارة الأمن القومى كفيها خلف ظهرها ، وهى تقول ، فى حزم واضح :

ـ إنها ليست دولة .

تطلّع إليها الرئيس الأمريكى مستنكرًا ، فتابعت بنفس الحزم :

ـ وهى ليست منظمة إرهابية أيضًا .

سألها فى حدة :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

أجابته فى سرعة وحزم :

ـ الدول ستتباهى بتفوقها ، والمنظمات الإرهابية لها مطالب سياسية دومًا ، أما خصومنا ، فمطالبهم مالية بالدرجة الأولى .

هتف فى غضب :

ـ وأكثر مما ينبغى .. إنهم يطلبون مائة مليار دولار ! هل تدركين ضخامة المبلغ ؟!

أجابته فى برود :

ـ نعم .. إنه يقارب ما اعتمده الكونجرس ، كميزانية لحربنا مع (العراق) ، الذى نجحنا فى احتلاله ، دون أن نعثر فيه على أية أسلحة دمار شامل ، أو ....

قاطعها فى حدة :

ـ كفى .

ثم تراجع فى مقعده ، وراح يحك ذقنه بضع لحظات ، فى توتر بالغ ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ كيف يمكننى إقناع الكونجرس ، بالموافقة على مبلغ كهذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ سنفكر فى وسيلة ما ، إذا ما اضطرتنا الأمور إلى هذا .

ثم أشارت إلى التلفاز الضخم ، فى المكتب البيضاوى[*] ، وهى تضيف فى صرامة :

(*) اسم يطلق على حجرة المكتب الخاص برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، نظرًا لشكله شبه البيضاوى .

ـ بعد أن نشاهد ما يمكنهم فعله .

التقى حاجبا الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

ـ آه .. كنت أنسى أمر مكوك الفضاء .

ضغطت زر إشعال التلفاز ، وهى تقول :

ـ وكيف يمكنك أن تنسى أمرًا كهذا ؟!

مطَّ شفتيه ، دون أن يجيب ، وتابع المشاهد على الشاشة فى اهتمام بالغ ..

كانت عدسات المصورين تنقل عبور المكوك الفضائى للغلاف الجوى الأرضى ، والنيران الناجمة عن الاحتكاك تحيط به ، وهو يقترب من سطح الأرض ..

ويقترب ..

ويقترب ..

و ....

وفجأة ، دوى الانفجار ..

كان المكوك قد بلغ ارتفاع سبعة كيلومترات ، عن سطح الأرض ، وكل آلات المتابعة تشير إلى أن الأمور تسير على

ما يرام ، عندما انفجر بغتة ، أمام عدسات المصورين ، وعيون المتابعين ..

انفجار هائل ، أضاء السماء كلها ، وبدا أشبه بشمس صغيرة ، لثانية أو ثانيتين ، قبل أن تحيط به سحابة دخان هائلة ، وتتناثر شظاياه على مساحة واسعة للغاية ..

ومع الانفجار ، انتفض جسد مستشارة الأمن القومى فى عنف ، فى حين اعتدل الرئيس الأمريكى بحركة حادة ، صائحًا :

ـ مستحيل !

كان المشهد رهيبًا بحق ، إلى حد لا يمكن تصوره ..

بل كان كارثة مخيفة ، على أى مقياس ..

مكوك فضائى تلاشى ، فى لحظات معدودة ، وعلى متنه تسعة من رواد الفضاء ، الذين احتاج إعدادهم إلى سنوات طوال ، من التدريب والتنسيق ، وبرامج رفع الكفاءة ..

كانت كارثة أكثر من رهيبة ..

أكثر بكثير ..

ولثوان ، لم ينبس الرئيس الأمريكى ، أو مستشارة الأمن

القومى ببنت شفة ، وكلاهما يحدق فى شاشة التلفاز ، بكل ذعر وذهول الدنيا ، والمذيع يصرخ فى انفعال جارف ، واصفًا ما حدث أمام عينيه ..

ثم فجأة ، هتفت مستشارة الأمن القومى :

ـ يا للهول !

وهتف الرئيس الأمريكى ، فى انفعال عصبى :

ـ أريد الاجتماع بوزير الدفاع فورًا ، واطلبى عقد جلسة سرية عاجلة للكونجرس ، فى أسرع وقت ممكن .

التقى حاجبا مستشارة الأمن ، وهى تقول :

ـ سأجرى اتصالى بوزير الدفاع على الفور ، أما بشأن تلك الجلسة السرية ، فالأفضل أن ننتظر بعض الوقت ، حتى تتضح الصورة أكثر ، فمازال أمامنا سلاح ، لم نلجأ إليه بعد .

سألها فى توتر :

ـ أى سلاح هذا ؟!

قالت فى حزم :

ـ جهاز المخابرات .

ثم عقدت ساعديها أمام صدرها ، قبل أن تضيف فى صرامة :

ـ مخابراتنا .

وكان هذا ينقل الموقف كله إلى أبعاد جديدة ..

أبعاد خطيرة ..

للغاية ..

* * *

« لست أصدق نفسى .. »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى مرح بالغ ، وهو يلوّح بذراعه كلها ، داخل سيارة (منى) ، التى تنطلق بسرعة مرتفعة نسبيًا ، فى طريقها إلى مدينة (فايد) المصرية ، فابتسمت (منى) فى هدوء ، قائلة :

ـ ما الذى لا تصدقه بالضبط ؟!

أطلق ضحكة ، صافية قصيرة ، مجيبًا :

ـ (أدهم صبرى) يحصل على إجازة طويلة ! كم طالبناه بهذا ، عندما كانت الأمور تحتدم لفترة طويلة ، وكم كان

يرفض فى إصرار مهذب ، مؤكداً أنه يجد راحته ومتعته فى عمله ، وليس العكس .

بدت ابتسامتها باهتة ، وهى تقول دون حماسة :

ـ كل شيء يتغير .

التفت إليها (قدرى) فى اهتمام ، وتطلع إليها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسألها :

ـ أنت لاتشعرين بالارتياح تجاه هذا .. أليس كذلك ؟!

صمتت جامدة بضع لحظات ، قبل أن تومئ برأسها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فسألها (قدرى) ، فى اهتمام أكبر :

ـ ما الذى يقلقك ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ (أدهم) نفسه .

سألها ، وقد تحول اهتمامه إلى قلق واضح :

ـ ماذا عنه ؟!

تنهدت فى عمق ، قبل أن تجيب ، وهى تبلغ بسيارتها الطريق الرئيسى ، الموازى لقناة (السويس) ، فى (فايد) ، ثم تنحرف إلى اليسار :

ـ لو أنك شاركته مهامه ، بنفس القدر الذى فعلته أنا ، لأدركت أنه من العسير على مثله ، أن يتوقف فجأة عن القتال والصراع من أجل وطنه ، ويكتفى بممارسة رياضة الصيد ، داخل فيلا صغيرة ، على شاطئ القناة .

قال (قدرى) ، وقد تضاعف قلقه :

ـ إنها مجرد إجازة .

سألته ، وهى تنطلق فى ذلك الطريق :

ـ هل تعتقد هذا حقاً ؟!

صمت طويلاً هذه المرة ، وهو يعتدل فى مجلسه ، ويشرد ببصره ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ كلا .

لم يتبادلا كلمة واحدة إضافية ، حتى بلغا تلك الفيلا الأنيقة ، ذات البوابة البسيطة ، التى تتميز عن غيرها باسم (مصر) ، المحفور على إطارها العلوى ، وبجدار الممر القصير ، الذى يقود إلى شرفتها الأمامية ، والذى حمل ألوان العلم ، وكأنما يعلن صاحبها مصريته ، ووطنيته ، وزهوه بالانتماء إلى هذا العلم بالتحديد ..

ولقد استقبلهما (أدهم) بنفسه ، بابتسامة ترحاب كبيرة ، وهو يقول :

ـ حمداً لله على سلامتكما ، مـن يصدق أن نلتقى هنا ، دون قتال أو صراع ؟!

غمغم (قدرى) :

ـ نعم .. من يصدّق ؟!

أما (منى) ، فقد صمتت لحظة ، ثم قالت فى بطء وحزم :

ـ أنا عاجزة عن التصديق .

رمقها (أدهم) بنظرة هادئة ، قبل أن يقول :

ـ ينبغى أن تبذلى جهداً أكبر إذن .

قادهما عبر الممر المصرى ، إلى الشرفة الأمامية ، التى تطلّ على مياه القناة مباشرة ، ولـم تمض لحظـات ، حتى كـانت أكواب الشاى الساخن أمامهم ، و(أدهم) يبتسم ، قائلاً :

ـ مـن المدهش أننى أمتلك هذه الفيلا الصغيرة ، منذ ما يزيد على السنوات العشر ، ولكننى لم أدرك جمالها ، إلا منذ يومين فحسب .. إنها هادئة جداً ، وخفيفة الظل ، و ....

« ماذا هناك بالضبط ؟! »

قاطعته (منى) بالسـؤال فجأة ، فصمت بضع لحظات ، وهو يتطلّع إلى مياه القناة ، فى شرود واضـح ، قبل أن يلتفت إليها ، متسائلاً ، فى هدوء شديد :

ـ وماذا هناك يا (منى) ؟!

تطلّعت إلى وجهه مباشرة ، وهى تقول :

ـ أنت تجيب عن سؤالى فى هدوء .

نقل (قدرى) بصره بينهما فى صمت ، وهو يتساءل عما تعنيه (منى) ، التى لـم تفسـح لـه مجالاً طويلاً للتساؤل ، وهى تستطرد فى حزم :

ـ هدوء أكثر مما ينبغى .

بدا قوياً ، وهو يتطلّع إلى عينيها ، متسائلاً :

ـ وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

مالت إلى الأمام ، قائلة فى حزم :

ـ أنك تخفى شيئاً .

سألها بنفس الهدوء :

ـ مثل ماذا ؟!

قالت فى سرعة :

ـ أخبرنى أنت .

تطلع كلاهما إلى عينى الآخر طويلاً ، بعد أن نطقت عبارتها ، ثم لم يلبث (أدهم) أن قطع حبل الصمت ، قائلاً :

ـ إنك تحملين الأمور ما يفوق طاقتها يا (منى) .

قالت فى حزم وثقة :

ـ كلا ..

ثم عادت تميل نحوه ، مستطردة :

ـ (أدهم) .. أنا أعرفك جيدًا .. وربما أكثر من نفسى ، ولو أنك لاتخفى شيئًا ، لما شعرت بكل هذا القلق والتوتر فى أعماقى .

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ هل يمكنك قراءة أفكارى ؟!

« هذا صحيح .. »

جاء الجواب على لسان (قدرى) ، بكل الحزم والحسم ، قبل أن يتابع فى حرارة وصدق :

ـ مع طول الفترة ، التى قضيتها فى جهاز المخابرات ، لم أر اثنين ، أشد منكما حبًا لبعضهما ، إلى الحد الذى أتصور معه أن روحيكما قد امتزجتا ، وصار كل منكما قادرًا على قراءة أفكار ومشاعر الآخر ، دون أن ينبس أيكما ببنت شفة .

نقل (أدهم) بصره بينهما ، فى بطء وصمت ، ثم أدار عينيه إلى مياه القناة ، وراح يتطلع إليها طويلاً ، وكلاهما يحترم صمته ، ويتطلع إليه فى ترقب ، حتى استدار إليهما فجأة ، وقال بمنتهى الحزم :

ـ نعم .. أنا أخفى شيئًا .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وكأنما لم يكن يتوقع هذا ، فى حين هتفت (منى) فى حرارة :

ـ كنت واثقة .

وقبل حتى أن تتم هتافها ، كان هو يستطرد ، بصرامة الدنيا كلها :

ـ ولن أفصح عنه أبدًا .

سألته (منى) ، فى سرعة واهتمام :

ـ حتى لأصدقائك ؟!

أجابها بمنتهى الحزم والحسم :

– حتى لأخى نفسه .

انطلقت من أعمق أعماقها تنهيدة حارة ، وهى تتراجع فى مقعدها ، قائلة ، فى شىء من الارتياح :

– فهمت .

أدهش أسلوبها وقولها (قدرى) ، الذى تساءل فى توتر :

– وما الذى فهمته بالضبط ؟!

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

– الشىء الوحيد ، الذى يمكن أن يمنع (أدهم) ، من مشاركة أصدق أصدقائه لسره .

تساءل (قدرى) فى حذر ، لم يدر هو نفسه سببه بالضبط :

– أى شىء هذا ؟!

أجابت فى سرعة ، وحزم ، واقتضاب :

– (مصر) .

ولم تكن تحتاج إلى قول المزيد ..

فقد فهم (قدرى) على الفور ما تعنيه ..

فهمه تمامًا ..

* * *

نفثت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء فى عمق وبطء ، وهى تراجع كل التقارير ، الواردة من مختلف الجهات ، قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة ظافرة كبيرة ، مغمغمة :

– عظيم .. كل شىء يسير وفقًا للخطة .. أظننا سنبلغ الهدف ، فى الموعد المحدد تمامًا .

ابتسم قائد قواتها ، وهو يقول :

– المدهش أنهم لم يتوصلوا حتى الآن ، إلى طبيعة السلاح الذى نستخدمه .

نفثت دخان سيجارتها فى استمتاع ، وقالت بابتسامة خبيثة :

– اطمئن .. لن يخطر هذا ببالهم قط .. فى هذه المرحلة على الأقل .

ظلت ابتسامتها محفورة على شفتيها بضع لحظات ، قبل أن تتلاشى فجأة ، وهى تسأل فى اهتمام صارم :

– هل عرفتم أين ذهب مستر (X) ؟!

هزّ القائد رأسه نفيًا ، وقال في توتر :

ـ لم يظهر في أي مكان بعد ، ولا أحد يعلم أي شيء عنه .

مطّت شفتيها في غضب ، وهي تقول :

ـ أمر طبيعي ؛ فلا أحد يعرف هويته الحقيقية .. ثم إنه يحتاج إلى بعض الوقت ؛ ليعيد تنظيم صفوفه ، ومحاولة استعادة سيطرته على الأمور .

ثم انعقد حاجباها ، في صرامة وحشية ، وهي تضيف :

ـ ولا ينبغي أن نمنحه الفرصة لهذا أبدًا .

صمتت لحظة ، وهي تفكّر في عمق ، وتنفث دخان سيجارتها الحمراء في بطء ، قبل أن تقول في حزم :

ـ سندفع الخطة إلى الأمام ، لتختصر أربعًا وعشرين ساعة على الأقل ، من جدولنا السابق .

تساءل الرجل في قلق :

ـ ألن يؤدي هذا إلى ..

قاطعته بكل شراسة الدنيا :

ـ استعد لتنفيذ الضربة الثالثة ، بعد ساعة واحدة من الآن .

هتف في دهشة مستنكرة :

ـ ساعة واحدة ؟!

هبّت من مقعدها بحركة حادة ، وعادت تنفث دخان سيجارتها ، وهي تقول في حزم :

ـ لن نمنحهم جميعًا فرصة للتفكير والتدبير .. سنضرب ضرباتنا على نحو سريع ، متلاحق ، بحيث نربك الكل ، ونشتت تفكيرهم ، ونجبرهم على اتخاذ قرارات سريعة مرتبكة .

تساءل في عصبية :

ـ وماذا لو جاءت قراراتهم في غير صالحنا ؟!

هتفت :

ـ مع كل ما سيملأ قلوبهم من خوف واضطراب ؟! أشك في هذا كثيرًا .

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، قبل أن تلقيها بعيدًا ، وهي تكمل ، في لهجة أقرب إلى الجذل :

ـ سنضرب ضربتنا الثالثة ، ثم نعلن عن الهدف الرابع ، والذي ينبغي أن يكون ضخمًا وملحوظًا ، و ....

بترت عبارتها بغتة ، دون أى سبب منطقى ، وشردت ببصرها طويلاً ، وعيناها تتألقان فى جذل ، اشترك مع تلك الابتسامة على شفتيها ، للإيحاء بأنها تجرى تعديلات جوهرية ، فى خطتها الكبيرة المعقدة ..

تعديلات ضخمة ..

وقوية ..

ورهيبة ..

إلى أقصى حد ..

ولقد استغرقها ذلك الشرود لحظات ، قبل أن تقول فجأة ، وهى تلوح بسبابتها فى الهواء :

- وسيلة إعلان الهدف الرابع لنفسها ، لابد أن تكون قوية ومثيرة ، و ....

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- ومؤثرة للغاية .

قالتها ، وأطلقت ضحكة عابثة جديدة ، يفهمها قائد قواتها جيدًا ، لذا فقد اعتدل فى وقفة عسكرية ثابتة ، وهو يقول :

- أوامرك أيتها الزعيمة .

أشعلت سيجارة حمراء جديدة ، وهى تقول :

- استمع إلىَّ جيدًا ، ونفذ ما سآمرك به بالحرف الواحد ، ودون مناقشة .

ولأن الرجل يثق بعقليتها ثقة عمياء ، فقد استمع إليها ، وأنصت لحديثها بكيانه كله ..

والواقع أن التعديلات الجوهرية ، التى أجرتها فى خطتها ، كانت بالفعل رهيبة ..

رهيبة ومؤثرة ..

للغاية ..

* * *



٤ـ أوراق مكشوفة ..

راجع رئيس الجمهورية ، فى اهتمام واضح ، ذلك التقرير الوافى ، الذى قدمه له مدير المخابرات العامة ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

ـ إذن فالأمريكيون يطلبون معرفة موقف العميد (أدهم صبرى) فى الوقت الحالى .

أومأ مدير المخابرات برأسه ، وهو يقول :

ـ لقد أدركوا أن ما فعلناه هو نوع من المناورة يا سيادة الرئيس ، مما ضاعف من غضبهم ، ودفعهم إلى مطالبتنا بتحديد موقفه الحالى بالضبط ، وموقفنا من عرضهم ، وفى برقيتهم الأخيرة ، منحونا أسبوعًا واحدًا لحسم الموقف ، وإلا فسيتخذون إجراءات عنيفة ضدنا .

هتف الرئيس ، فى غضب مستنكر :

ـ إجراءات عنيفة ؟! أى أسلوب وقح هذا ؟!

قال مدير المخابرات فى هدوء :

ـ الأسلوب الذى تميَّزت به الإدارة الأمريكية الحالية يا سيادة الرئيس .. تجاربهم وخبراتهم السياسية محدودة ، ولديهم

زهو شديد ، بما تحت أيديهم من أسلحة وقوة ، ويندفعون لاستخدامها ، أو التلويح باستخدامها ، فى كل مواجهة مع الآخرين ، حتى ولو لم تكن تستحق هذا .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ لن ينسى لهم التاريخ أبدًا موقفهم غير القانونى ، وغير الشرعى ، وغير الأخلاقى أيضًا ، تجاه مشكلة (العراق) ؛ فقد ضربوا عرض الحائط بكل المؤسسات القانونية الدولية ، وكل الأعراف والمبادئ ، وتجاهلوا احتجاجات شعوب العالم .. بل وشعوبهم أيضًا ، وأطلقوا مجموعة من الأكاذيب المفضوحة ، والادعاءات السخيفة ؛ لتبرير اندفاعهم لاحتلال أراضى الغير بالقوة ؛ على الرغم من مخالفة هذا لكل المبادئ الدولية ..

قال مدير المخابرات فى حسم :

ـ هذا اتجاه إلى عسكرة الحضارة يا سيادة الرئيس ، والتاريخ يؤكِّد أن كل الحضارات الضخمة ، التى تفوَّقت على كل جيرانها ذات يوم ، قد بدأت رحلة الانحدار والانهيار ، عندما أخذها زهو القوة ، ونالت منها غطرسة التفوّق ، وقرَّرت أن تهاجم كل من حولها ، وتحتل أراضيهم

بلا رحمة أو هوادة ، ولعل أكبر مثال على هذا هو الإمبراطورية الرومانية ، التى سادت العالم يومًا ، وسيطرت على مقاديره ، واندفعت تفرض هيمنتها وسطوتها على الجميع ، باعتبار أنها قوة ضاربة ، لاقبل لأى كيان آخر بمواجهتها ، حتى تزعزعت وتزلزلت ، وانهارت فجأة ، مع ظهور أول قوة منافسة(*) ..

أومأ الرئيس برأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، وذلك الشعور يراود الجميع ، على نحو عجيب ، على الرغم من أن كل الشواهد توحى بأن (أمريكا) ، بقوتها الهائلة الحالية ، يمكن أن تبقى ، كقوة استعمارية محتلة ، لقرن آخر من الزمان .

هز مدير المخابرات رأسه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

صمت الرئيس لحظة ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. من يدرى ؟!

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

(*) حقيقة تاريخية .

ـ ولكن ، وحتى تنهار الإمبراطورية الأمريكية ، نتيجة لما ترتكبه من أخطاء وحماقات ، لابد أن نتخذ قرارًا حاسمًا ، بشأن مشكلة العميد (أدهم صبرى) ، فمن الواضح أن الأمريكيين لن يقبلوا قط فكرة إرجاء المواجهة ، وأنهم يصرون على حسم الأمر ، فى أقرب وقت ممكن .

أشار مدير المخابرات بسبابته ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الإسرائيليين يضغطون عليهم ، على نحو أو آخر ؛ لأن (أدهم) يعتبر ، بالنسبة لهم ، العدو رقم واحد .

غمغم الرئيس :

ـ أمر طبيعى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وخاصة بعدما فعله بهم ، فى عمليته الأخيرة(*) .

وعاد إلى صمته ، وهو يتجه نحو مكتبه ، فتبعه مدير المخابرات ببصره ، حتى استقر خلف مكتبه ، وهو غارق فى تفكير عميق ..

ولقد طال صمت الرئيس وتفكيره ..

(*) راجع قصة (الأوراق المكشوفة) .. المغامرة رقم (١٤٣) .

طال ..

وطال ..

وطال ..

ولم يحاول مدير المخابرات أن يقاطعه بحرف واحد ، محترمًا ذلك الصمت ، الذى يشفّ عن دراسة عقلية وافية ، لكل ظروف وملابسات الموقف ، تمهيدًا لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ، و ....

وفجأة ، رفع الرئيس عينيه إليه ، ونظراته تحمل كل الحزم ، والحسم ، والصرامة ، والقوة ..

وبحركة هادئة ، اعتدل الرئيس على مقعده ، قائلاً :

ـ لن يمكننا أن نفعل هذا .

ثم نهض واقفًا ، وهو يستطرد :

ـ ومهما كانت النتائج ، فلن نسمح لأية جهة أجنبية ، بأن تملى علينا ما ينبغى أن نفعله .

ابتسم مدير المخابرات ابتسامة هادئة ، تحمل لمحة إعجاب وتقدير واضحة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

واصل الرئيس ، وهو يتحرك فى حجرة مكتبه بحزم :

ـ العميد (أدهم صبرى) مواطن مصرى ، ورجل مخابرات فذ ، خدم وطنه وأمته ، وبذل نفسه وجهده ، وجازف بحياته نفسها فى سبيل (مصر) .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف بكل القوة :

ـ و(مصر) لاتتخلى عن أبنائها قط .

لم يتمالك مدير المخابرات نفسه ، وهو يهتف فى حماسة :

ـ سلم قولك يا سيادة الرئيس .

شدّ الرئيس قامته فى اعتداد ، وهو يقول فى حزم :

ـ أبلغ الأمريكيين ـ رسميًا ـ رفضنا لعرضهم ، واستنكارنا البالغ لتهديدهم ، واعتراضنا الشديد على تدخّلهم فى شئوننا الداخلية ، وأخبرهم أن العميد (أدهم صبرى) باق فى موقعه ، ولاتوجد أية نية لإقالته .. ليس الآن ، ولاحتى فى المستقبل .

قال مدير المخابرات فى حزم :

ـ سأفعل هذا فورًا يا سيادة الرئيس .

أشار إليه الرئيس بسبابته ، قائلاً :

ـ هذا ليس كل شيء .

توقف المدير ؛ ليسأله في اهتمام :

ـ ماذا أيضًا يا سيادة الرئيس ؟!

بدا الرئيس حازمًا حاسمًا ، وهو يقول :

ـ اليوم سأصدر قرارًا ، بمنح العميد (أدهم صبرى) قلادة النيل ، تقديرًا لشجاعته ، وتفانيه في خدمة الوطن .

تألقت عينا مدير المخابرات ، وهو يقول في انبهار :

ـ سيادة الرئيس .. هذا تحدٍّ لإرادة الأمريكيين .

أجابه الرئيس ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ بالضبط .

ازدادت عينا مدير المخابرات تألقًا ، وهو يتطلع إلى الرئيس في صمت يموج بالاحترام والتقدير ، على الرغم من أن عقله كان يحمل ـ طوال الوقت ـ ذلك التساؤل المقلق ..

ترى كيف سيكون رد فعل الأمريكيين ؟!

كيف ؟!

* * *

« هذه الجلسة سرية .. »

نطق الرئيس الأمريكي العبارة ، في توتر بالغ ، وهو يقف على منصة قاعة اجتماعات الكونجرس الرئيسية ، قبل أن يدير عينيه في وجوه الحاضرين ، ثم يكمل :

ـ ومن المؤكد أن جميعكم تتساءلون ، عن سر عقد هذه الجلسة العاجلة والسرية .. والواقع أيها السادة هو أن لها سببًا مهمًا .. مهمًا وخطيرًا للغاية .. بل وإلى أقصى حد .

جذبت كلماته انتباه الجميع بشدة ، فأولوه اهتمامهم التام ، على الرغم من لحظة الصمت التي لاذ بها ، قبل أن يتابع ، في عصبية شديدة الوضوح :

ـ أيها السادة .. نحن مهددون .

أثارت عبارته عاصفة من الهمهمة في المكان ، وهتف أحد أعضاء الكونجرس في غضب :

ـ ما الذي يعنيه هذا القول المبهم ؟!

وصاح آخر :

ـ أهي خدعة جديدة ؛ لنيل امتيازات إضافية ؟!

وهتف ثالث :

ـ أهي مناورة ؛ لاتهام تنظيم القـ ...

قاطعه الرئيس الأمريكى فى عصبية :

ـ ما أصاب مكوك الفضاء لم يكن مجرّد حادث .

عبارته هذه كانت ناجحة للغاية ، فلم تكد تنطلق ، عبر مكبرات الصوت فى القاعة ، حتى تفجّرت فيها قنبلة من الصمت ، وكل العيون المتسعة المذعورة ، تتطلع إليه فى تساؤل قلق ، فتابع فى توتر بالغ :

ـ أظن أن مستشارة الأمن القومى ، هى خير من يمكنه توضيح الموقف كله .

انتقلت العيون كلها إلى مستشارته ، التى نهضت فى نشاط ، واتجهت نحو الميكروفون ، وقالت دون مقدمات :

ـ على الرغم من أننا أقوى قوة ضاربة فى العالم ، فى الوقت الحالى ، إلا أننا نواجه خصمًا مجهولاً ، لم ننجح فى كشف هويته ، أو تحديد طبيعة السلاح ، الذى ينفذ به عملياته بعد .

مرة أخرى ، تفجّرت عاصفة من الهمهمة فى المكان ، وانطلقت عشرات التساؤلات المذعورة ، عن طبيعة الموقف ، والهوية المحتملة للخصم ، ولكن مستشارة الأمن السمراء أوقفت كل التساؤلات ، بإشارة صارمة من يدها ، وهى تقول :

ـ نحن نبذل بالفعل قصارى جهدنا ؛ للتوصّل إلى أية معلومات

ممكنة ، وكل أجهزتنا الأمنية تتحرك بأقصى قوتها وسرعتها ، فى سباق مستميت مع الزمن ؛ لكشف كل ما يمكن كشفه .

صمتت لحظة ، ولكن أحدًا فى القاعة لم ينبس ببنت شفة ، وكأنما ينتظر الكل ما ستواصل به حديثها ، فتابعت فى حزم :

ـ ولكن المشكلة أن الخصم لا يمهلنا الوقت ؛ لمعرفة أى شىء ، مما يثبت أنه محترف ، وذكى ، ويدرك جيّدًا طبيعة العمل ، فى مثل هذه الظروف ، ولكنه ليس دولة رسمية ، أو حكومة منظمة ، أو حتى تكوينًا إرهابيًا معروفًا ، ولكنه ، وهذا هو العجيب ، أقرب إلى التنظيم الإجرامى ، وهذا لأن مطالبه قد اقتصرت فقط على المال ..

صمتت لحظة أخرى ، أدارت عينيها خلالها ، فى كل الوجوه الصامتة المأخوذة ، ثم استطردت فى بطء مقصود :

ـ مائة مليار دولار .

انطلقت شهقات قوية ، فور ذكر المبلغ ، وصاح أحد الأعضاء فى غضب شديد :

ـ وهل سنخضع لهذا الابتزاز ؟!

أجابته مستشارة الأمن فى صرامة :

ـ أخشى أننا ، وفى الوقت الحالى ، لا نملك خيارًا ، تجاه هذا الموقف .

صاح عضو آخر :

ـ هل سنستسلم إذن ؟! إنها فضيحة !

وهتف آخر :

ـ أكبر قوة فى العالم تستسلم لمبتز ؟! يا للعار !

انعقد حاجبا مستشارة الأمن ، وبدا وجهها شرسًا قبيحًا ، وهى تقول فى غضب صارم :

ـ من الواضح أنكم لا تستوعبون الموقف جيدًا أيها السادة .. خصمنا ، أيًا كانت هويته ، نجح ـ خلال الأيام القليلة الماضية ـ فى توجيه ثلاث ضربات ، بالغة القوة والعنف ، لثلاثة أهداف بالغة الخطورة ، فى أماكن مختلفة ؛ فلقد سحق تمامًا المنطقة العسكرية التاسعة والأربعين ، ثم نسف مكوك الفضاء ، أمام عدسات المصورين ، قبل دقائق قليلة من هبوطه ، ومنذ أقل من ساعة واحدة ، أزال من الوجود منشأة كيماوية ، كنا نعتبرها من أدق أسرارنا العسكرية .

وشدت قامتها ، وهى تواصل بمنتهى الصرامة :

ـ باختصار .. خصمنا يعرف عنا كل شىء ، ونجهل عنه كل شىء ، ولديه سلاح خطير إلى درجة مفزعة ، مرعبة ..

أعلم أن بعضكم سيتهمنا بالإهمال والتقصير ، والبعض الآخر سيضجرنا بمحاضرات فلسفية ، حول ضرورة الصمود والتصدى ، وفائدة عدم الاستسلام للمبتزين ، ولكن دعونى أخبر كل هؤلاء ، وأخبركم جميعًا ، دون أدنى تحفظ أو تجميل للأمر ، أن موقفنا ضعيف للغاية .. بل وخطير إلى أقصى حد أيضًا ؛ فحتى هذه اللحظة انتقى خصمنا أهدافًا ذات طابع خاص ، فبعضها لا يعلم به أحد ، والبعض الآخر قد يثير تدميره الشجون والحزن والأسى ، ولكنه لن يوحى بوجود سبب خارجى مقصود ، مثلما حدث لمكوك الفضاء ، ولو أننا رفضنا تنفيذ مطالبه الآن ، فربما ينتقل إلى مرحلة جديدة ، يوجّه فيها سلاحه إلى أهداف واضحة ومثيرة للاهتمام والانتباه ، وعندئذ سيضعنا فى موقف بالغ الحرج ، وربما ينكشف معه ضعفنا ، فى مواجهة خصم مجهول ، وتنهار معه هيبتنا ، داخليًا وخارجيًا .

نهض أحد الأعضاء القدامى ، يسأل فى حدة :

ـ هل تطلبون اعتماد مائة مليار دولار ، لتقديمها إلى مبتز ؟!

أجابته المستشارة ، فى سرعة وحزم :

ـ ليس هذا فحسب يا سيناتور ، ولكننا نطالب بأن يتم هذا بأقصى سرعة ممكنة أيضًا .

هتف عضو قديم آخر، من حزب معارض:

- مستحيل! لن نوافق على مبلغ كهذا، دون أدلة كافية؛ لتقديمه إلى مبتز.

صاحت به مستشارة الأمن:

- إنكم ستوافقون على اعتماد المبلغ، حفاظًا على هيبة (أمريكا)، وليس من أجل..

« دعيني أساعدك على إقناعهم ..» ..

انطلق الصوت بغتة، من خلف ظهر مستشارة الأمن القومي، في نفس اللحظة التي أضيئت فيها تلك الشاشة الكبيرة، التي تستخدم لعرض مشروعات الحكومة، فاستدارت كل العيون إليها بحركة واحدة، وانعقد حاجبا مستشارة الأمن القومي في شدة، وانطلقت بعض الشهقات من الحاضرين، في حين هتف الرئيس الأمريكي، بكل عصبية الدنيا:

- يا لله ....

لم يتم عبارته، ولكنه حدق كالآخرين في صورة تلك المرأة الفاتنة، التي بدت على الشاشة، وهي تمسك سيجارتها الحمراء في أناقة، وتنفث دخانها في عمق،

وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة مخيفة، وصوتها العابث يقول متابعًا:

- فهؤلاء السيناتورات ضيقو العقول، ويحتاجون إلى وسيلة إقناع قوية.

امتلأت نفس مستشارة الأمن القومي بالغضب، فهتفت برئيس طاقم أمنها، وهي تقول في عصبية:

- هذا البث يتم من داخل مبنى الكونجرس؛ فهذه الشاشة ترتبط بدائرة مغلقة .. انتشروا في المكان، وراجعوا خريطة شبكة البث، و....

قاطعها الصوت على الشاشة بغتة، وصاحبته تقول ساخرة:

- لا تشغلي نفسك كثيرًا يا عزيزتي، بالبحث عن نقطة البث، فما ترينه أمامك مجرد شريط مسجل، يتم بثه من النقطة (W — 6F)، ولقد تم تلغيم شبكة البث، بحيث تنفجر كلها، مع كل ما يحيط بها، عند أية محاولة لإيقاف البث، أو انتزاع الشريط.

ثم هزت كتفيها في استهتار، ونفثت دخان سيجارتها في عمق، قبل أن تتابع، بنفس اللهجة الساخرة:

- ليس أمامكم إذن سوى الاستماع إلى ما أقول.

وتبدلت لهجتها بغتة ؛ لتحمل قدرًا مخيفًا من الصرامة والوحشية ، وهى تضيف فى شراسة :

ـ والخضوع لما آمركم به .

اتسعت العيون كلها فى ارتياع مذعور ، ولكن أحدًا لم ينبس ببنت شفة ، فى حين غمغمت مستشارة الأمن القومى فى غضب :

ـ هناك جاسوس فى المبنى .

ثم استدارت إلى قائد فريق أمنها ، مستطردة :

ـ ذلك الشريط المسجّل سيمحو نفسه بالتأكيد ، فى نهاية العرض ، وإلا لما ظهرت هذه الحقيرة أمامنا بوجه عارٍ هكذا .. لذا أريد منكم أن تلتقطوا صورها عن هذه الشاشة ، وترسلوها فورًا إلى المخابرات المركزية ؛ لتحديد هوية المرأة .

مع قولها هذا ، كانت الزعيمة تكمل ، على شاشة العرض :

ـ الأهداف التى تم تدميرها ، حتى هذه اللحظة ، كانت مجرّد وسيلة لتقديم أنفسنا إليكم .. إلى الحكومة ، والمسئولين العسكريين ، والسياسيين .. أما الأهداف القادمة فستنقسم إلى قسمين .

توقفت لتنفث دخان سيجارتها فى بطء متعمد ، قبل أن تتابع :

ـ فلكى أساعدكم على اتخاذ القرار ، دون جدل عقيم ، أو مناقشات طويلة ، لاطائل منها ، قررت أن أمنحكم ثمانى وأربعين ساعة فحسب ؛ لإعلان موافقتكم على دفع المبلغ المطلوب ، والموافقة على كل شروط تسليمه ، وبعدها بثانية واحدة ، سيتم نسف هدفين أساسيين : تمثال (أبراهام لينكولن)(*) فى (واشنطن) ، وتمثال الحرية فى (نيويورك) .

شهق الأعضاء فى رعب ، مع ذكر الهدفين القادمين ، اللذين يعتبرهما الجميع رمزًا للولايات المتحدة الأمريكية ، واتسعت عيون الرئيس الأمريكى فى ارتياع ، وهو يتخيّل الموقف ، وتأثيره الرهيب على عملية إعادة انتخابه ، فى حين غمغمت مستشارة الأمن القومى فى حدة :

ـ لابد أن نظفر بهذه الحقيرة .. لابد .

(*) أبراهام لينكولن (١٨٠٩ ـ ١٨٦٥م) : الرئيس السادس عشر ، للولايات المتحدة الأمريكية ، علم نفسه طوال حياته ، ومارس المحاماة لبعض الوقت ، أصبح رئيسًا فى عام ١٨٦٠ م ، وارتبط اسمه بالحرب الأهلية ، وإلغاء العبودية والرق ، ويعتبر رمزًا للأمة ، فى تاريخ (أمريكا) كله .

أما الزعيمة ، فقد استطردت فى لهجة توحى بالعبث والاستمتاع :

ـ أعلم أن هذا سيحرجكم بالطبع ، أمام الشعب الأمريكى كله ، ولكنها مجرد البداية ، فبعد اثنتى عشرة ساعة فحسب ، ولو استمر عنادكم ورفضكم ، سأرفع عدد الأهداف إلى ثلاثة ، وسأزيل من الوجود ، فى لحظة واحدة ، البيت الأبيض ، ومبنى البنتاجون(*) ، ومبنى المخابرات المركزية فى (لانجلى) بولاية (فرجينيا) .

شحبت الوجوه بشدة ، مع تهديدها الأخير ، وشهق الرئيس الأمريكى ، وهو يهتف :

ـ البيت الأبيض ؟! مستحيل !

ومع قوله ، كانت الزعيمة تطلق ضحكة طويلة عابثة ، على شاشة العرض ، وكأنها تستمتع بكل حرف نطقت به ، ثم ألقت سيجارتها ، ذات اللون الأحمر المستفز جانبًا ، فى استهتار واضح ، وهى تقول :

ـ وتوفيرًا لوقتكم الثمين ، وحتى لايضيع الكل وقتهم ، فى فحص الشريط ، والسعى لتحديد هويتى ، دعونى أخبركم بكل الوضوح ، أن اسمى هو (لوراكيلرمان) ، وليست

(*) البنتاجون : مبنى وزارة الدفاع الأمريكية .

لديكم أية ملفات سابقة عنى ، ولكنكم ستعثرون حتمًا على كل البيانات ، التى ذكرتها فى طلب تأشيرة الدخول إلى أرضكم اللطيفة ، التى تمنح المرء فرصة مدهشة للهو والتميز .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة ، حملت رنة وحشية مخيفة ، تجمدت لها الدماء ، فى عروق الجميع ، وهى تنهض من مقعدها الوثير ، وتهم بالابتعاد عن مجال الرؤية ، و ....

« مهلاً .. »

نطقتها الزعيمة على الشاشة فجأة ، قبل أن تعود إلى مجال الرؤية ، مشيرة بسبابتها ، وهى تكمل :

ـ مازال هناك أمر ، لم أذكره بعد .. ففى حالة موافقتكم على تنفيذ مطالبى ، واعتمادكم للمبلغ المتواضع ، الذى ستبتاعون به كرامتكم وهيبتكم ، وهو ما لا أشك فيه لحظة واحدة ، سيكون لى شرط أخير .. شرط لن أتنازل عنه أبدًا .

وأمام عيون الجميع ، وتحت سمعهم وبصرهم ، ألقت الزعيمة شرطها الأخير ..

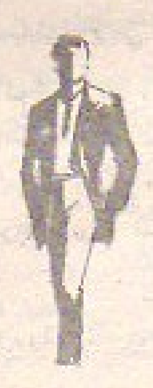
ولم يستوعب أعضاء الكونجرس ما الذى يمكن أن يعنيه هذا !!

ولكن الرئيس ، ومستشارته الأمنية ، ووزير دفاعه ، ومدير المخابرات المركزية الأمريكية استوعبوا الأمر ..

استوعبوه ، وأدركوا أن تلك الزعيمة الغامضة قد تمادت بالفعل ..

وإلى أقصى حد ممكن .





٥ ـ انقـــلاب ..

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت السابعة صباحًا ، بدقيقة أو دقيقتين ، عندما وصلت سيارة مدير المخابرات العامة المصرية ، إلى مقر رياسة الجمهورية ، وغادرها المدير على عجل ، متجهًا إلى مكتب الرئيس مباشرة ، ولم يكد يدلف إليه ، حتى انتبه إلى رجل أجنبى الملامح ، أنيق الملبس ، واضح التوتر ، قدمه إليه الرئيس ، قائلاً بلهجة خاصة ، يدرك كلاهما مغزاها جيدًا :

ـ (آلان راكويل) .. من المخابرات المركزية الأمريكية .

صافح مدير المخابرات ذلك الأمريكى ، فى تحفظ واضح ، وهو يتساءل :

ـ تُرى ما سر هذه الزيارة المفاجئة .. والمبكِّرة جدًا ؟!

قال الأمريكى ، وتوتره ينعكس على صوته فى وضوح :

ـ نحن نعلم أن سيادة الرئيس يبدأ يومه مبكرًا جدًا .

سأله المدير فى برود :

ـ وهل أخبرتكم تقاريركم ، أن سيادة الرئيس يميل إلى الزيارات المفاجئة أيضًا ؟!

ابتسم الرئيس ، عندما احتقن وجه الأمريكى ، وقال فى عصبية :

ـ يقولون فى عقيدتكم : إن الضرورات تبيح المحظورات .

همَّ المدير بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الرئيس أشار بيده ، قائلاً بالإنجليزية :

ـ السيد (راكويل) هنا ، بشأن العميد (أدهم) .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول بالإنجليزية فى صرامة :

ـ لقد أرسلنا إليكم ردًّا رسميًّا ، فى هذا الشأن .

بدا غضب عصبى ، على وجه الأمريكى ، فى حين تراجع الرئيس فى مقعده باسترخاء ، قائلاً :

ـ السيد (راكويل) هنا لسبب آخر تمامًا ، خلاف ما جاء زميله من أجله فيما مضى .

أطل التساؤل من عينى مدير المخابرات ، فجفف الأمريكى عرقًا وهميًّا عن جبهته ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ إننا نريد رجلكم (أدهم صبرى) .

لم يفهم المدير ما يعنيه هذا ، فتساءل فى حذر :

ـ تريدونه ؟! ما الذى تعنيه بقولك هذا بالضبط ؟!

اتسعت ابتسامة الرئيس ، وهو يقول :

ـ الأمريكيون يطلبون مساعدة رجلنا ، العميد (أدهم صبرى) ، بشأن مشكلة يعانونها .

تفجَّرت الدهشة فى كيان المدير ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى بدا مزهوًّا إلى حد ما ، وهو يشير بيده ، مستطردًا :

ـ السيد (راكويل) يرفض الإفصاح عن طبيعة المشكلة ، ولكنه يؤكد أنه ما من سبيل إلى حلها ، سوى الاستعانة برجلنا .

غمغم المدير ، وهو يخفى دهشته العارمة فى أعماقه :

ـ حقًّا ؟!

ثم استعاد رصانته وحزمه بسرعة ، مع استطرادته ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره فى حزم :

ـ لو أنكم تواجهون مشكلة ما ، تحتاج إلى تعاوننا ، فعليكم طلب هذا رسميًّا ، وعلى نحو تنظيمى صحيح ، فكل ما يمكنكم طلبه هو تعاون المخابرات المصرية ، وعلينا نحن أن نقرِّر ، مَنْ من رجالنا يصلح للمهمة ، و...

قاطعه الأمريكى فى عصبية :

ـ لن يصلح لهذه المهمة سوى رجلكم (أدهم صبرى) .

أجابه المدير فى سرعة :

ـ ونحن نعتذر عن إعارتكم إياه ، فنظمنا وقوانيننا تمنع خروج أحد رجالنا ، فى مهمة خارج الحدود ، لحساب أية دولة أخرى ، وخاصة عندما يحيط الغموض بتفاصيل تلك المهمة ، أو مدتها ، أو الهدف منها .

تضاعفت عصبية الأمريكى ، وهو يقول :

ـ ولكن أوامرى تمنع الـ ...

قاطعه الرئيس هذه المرة ، بمنتهى الحزم والصرامة :

ـ لقد سمعت ما قاله مدير جهاز المخابرات العامة .. وهذا ردنا النهائى .. إما أن نعلم لماذا تريدون الاستعانة برجلنا ، أو تعود إلى وطنك برد سلبى حاسم .

بدت الحيرة واضحة ، على كل خلجة من خلجات رجل المخابرات الأمريكى ، الذى تلفت حوله فى عصبية ، وغمر العرق البارد وجهه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ لابد لى من الاتصال برؤسائى أولاً .

أشار الرئيس إلى هاتفه الخاص ، قائلاً :

ـ ومن منعك من هذا ؟!

جفف الأمريكى عرقه الغزير ، بكل توتر الدنيا ، وهو يلتقط سماعة هاتف الرئيس ، قائلاً :

ـ معذرة .. لست مخولاً لاتخاذ القرارات ، على هذا المستوى .

لم يستغرق حديثه مع رؤسائه سوى دقائق قليلة ، على نحو يوحى بأنهم كانوا يتوقعون هذا الموقف المصرى ، بدليل أنه لم يكد ينهى المحادثة ، حتى التفت إلى الرئيس ومدير مخابراته ، قائلاً :

ـ الرؤساء وافقوا على إطلاعكم على كل شىء أيها السادة ، ويناشدونكم الإبقاء على الأمر سراً ، وطىّ الكتمان التام .

مصطلح (يناشدونكم) هذا ، كان يوضح تماماً اختلاف الموقف الأمريكى ، وانقلابه رأساً على عقب ، لذا فقد أشار الرئيس بيده ، وهو يقول فى حسم :

ـ لكم هذا .

وهنا ، تنحنح مندوب المخابرات الأمريكية ، وبدأ يروى للرئيس ومدير مخابراته كل شىء ..

بكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

* * *

« كم أبغض هؤلاء العرب .. »

نطقت مستشارة الأمن القومى الأمريكية العبارة ، بلهجة حملت كل مقت الدنيا ، وهى تقف داخل المكتب البيضاوى للرئيس الأمريكى ، فى قلب البيت الأبيض ، فلوّح وزير الدفاع بيده ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليس هذا وقت إفراز المشاعر الشخصية .. كل دقيقة لها ثمنها الآن ، وليس من حقنا أن ننشغل بأمور شخصية ، والوقت يمضى على هذا النحو .

مطّت مستشارة الأمن شفتيها فى مقت ، وهى تقول :

ـ ولكنها الحقيقة .. أنا أبغضهم بشدة ، منذ .. منذ ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فقال مدير المخابرات ، فى غضب صارم :

ـ دعينى أخبرك أنا منذ ماذا ! منذ خذلك عربى ، وقعت فى غرامه ، فى أثناء فترة دراستك الجامعية .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تهتف :

ـ إننى لم أقع أبدًا فى ...

قاطعها مدير المخابرات فى حدة :

ـ أمن الضرورى أن أخبرك باسمه ، وجنسيته ، والوظيفة التى يشغلها فى دولته حاليًا ؟!

عضت شفتها السفلى فى غضب ، قبل أن تقول :

ـ كلاّ .. ليس من الضرورى أن تفعل .

هتف الرئيس الأمريكى فى حدة :

ـ كيف بدأتم هذا الحديث السخيف ؟! ما شأن بغضك للعرب ، بما تواجهه الآن ؟!

لوّحت بذراعها ، قائلة :

ـ تلك الحقيرة اشترطت أن يكون ذلك المصرى ، الذى أنذرنا دولته بضرورة التخلّص منه ، هو المفاوض الرئيسى ، فى العملية كلها ، مما اضطرنا إلى الانحناء أمام المصريين ، والسعى للاستعانة برجلهم ، الذى أذل ناصية أصدقائنا الإسرائيليين .

قال الرئيس فى غضب :

ـ ونحن مضطرون لقبول شرطها ، كما اضطررنا للموافقة على دفع مائة مليار دولار لتلك الحقيرة ؛ حتى لا تسقط هيبتنا أمام العالم كله .. وهل تعرفين لماذا اضطررنا إلى

هذا وذاك ؟! لأن أجهزة الأمن هنا تمتلك شهرة ، تفوق قدراتها الطبيعية والفعلية ؛ حتى إنها عجزت تمامًا عن كشف هوية تلك المبتزة ، وموقعها ، وطبيعة السلاح الذى تستخدمه ، ووسيلتها فى استخدامه .. ومادمنا نفتقر إلى المعلومات ، على هذا النحو المخزى ، فليس أمامنا سوى الاستسلام خفية ؛ حتى لانضطر إلى الاستسلام علانية فى المستقبل القريب .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول فى توتر :

ـ إننا نواجه محترفين ياسيادة الرئيس .

صاح به الرئيس الأمريكى :

ـ كنت أظنكم أيضًا محترفين يا هذا .

شدّ مدير المخابرات قامته فى توتر ، وهو يقول :

ـ رجالى يعملون ليل نهار ياسيادة الرئيس ، وبعضهم لم يذق النوم ، منذ أكثر من يومين .

سأله وزير الدفاع فى عصبية :

ـ وما الذى توصلوا إليه ، بعد كل هذا ؟!

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ أنها كاذبة محترفة .

هتف الرئيس الأمريكى ، فى لهجة استنكارية :

ـ كاذبة ؟! أهذا كل شىء ؟!

حاول مدير المخابرات المركزية الأمريكية أن يتجاوز عبارة الرئيس ، وهو يواصل ، قائلاً :

ـ ربما تكون قد دخلت إلى البلاد ، منتحلة شخصية (لورا كيلرمان) بالفعل ، فقد عثرنا على بيانات هذه الأخيرة لدينا ، ولكنها حتمًا ليست هى ، فخبراؤنا يؤكدون أنها ترتدى قناعًا مطاطيًا بالغ الرقة ، وشديد الإتقان ، وأنها تتعمّد إخفاء شخصيتها الحقيقية لسبب ما ، هو أنها ـ على الأرجح ـ شخصية معروفة ، فى عالم الجريمة ، أو عالم الجاسوسية .

سأله وزير الدفاع فى اهتمام :

ـ هل يثق خبراؤك بهذا الرأى ؟!

واصل مدير المخابرات ، وكأنه لم يسمع السؤال :

ـ أما قصة شريط الفيديو ، الذى سينسف شبكة البث الداخلية ، لو تم إيقافه أو انتزاعه ، فهى كاذبة وملفقة من أساسها ، ولكنها شديدة البراعة ، إلى حد مدهش ..

قلبت مستشارة الأمن القومى شفتيها ، قائلة فى امتعاض :

ـ كاذبة ، وملفقة ، وشديدة البراعة ؟! أى قول مريض هذا ؟!

رمقها مدير المخابرات بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ ما رأيتموه وتابعتموه ، على شاشة العرض ، فى قاعة اجتماعات الكونجرس ، لم يكن شريطًا مسجّلاً .

اتسعت عينا الرئيس الأمريكى ، وفغر فاه على نحو عجيب ، فى حين وثب وزير الدفاع من مقعده ، هاتفًا :

ـ لم يكن ماذا ؟!

أما مستشارة الأمن القومى ، فقد انقلبت سحنتها فى غضب ، وهى تهتف فى حدة :

ـ ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟!

أجابها فى صرامة :

ـ ما رأيتموه كان بثًّا مباشرًا .

ثم قسا صوته ، وهو يضيف :

ـ من داخل مبنى الكونجرس نفسه .

بدا قوله هذا أشبه بصاعقة ، هوت على رءوس الجميع ، فاتسعت عيونهم عن آخرها ، وحدقوا فى وجه مدير المخابرات فى ذهول ، قبل أن تهتف مستشارة الأمن القومى فى حدة :

ـ هناك جاسوس فى المبنى .

أجابها مدير المخابرات فى حزم :

ـ الأمر أكثر من مجرّد جاسوس ، فأجهزة الفحص الإليكترونية لم تسجل دخولها ، ومراقب البث الرقمى لم يدرك وجود بث حى ، والحجرة التى تم البث منها ، لم تعمل آلات المراقبة فيها ..

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

ـ باختصار .. كانت هناك سيطرة إليكترونية تامة على المبنى ، ولقد أبعدت هى نظرنا عنها ، عندما أوهمتنا بأننا نشاهد شريطًا مسجّلاً .

اندفعت مستشارة الأمن القومى نحوه بغتة ، وأمسكت ساعده فى قوة ، حتى كادت أصابعها تغوص فى لحمه ، وهى تهتف :

ـ لا بد أن نظفر بهذه اللعينة .. هل تفهم ؟!

أزاح الرجل يدها بحركة حادة ، وهو يقول :

ـ وكيف أيتها البارعة ؟!

صاحت فى حنق :

ـ ابحث عن وسيلة .. أية وسيلة !

قال فى غضب :

ـ وما الذى تظنيننا نفعله ؟!

صاحت :

ـ أياً كان ما تفعلونه ، فينبغى أن تضاعفوه ، وإلا استيقظنا ذات صباح ؛ لنجد أن تلك الحقيرة قد سيطرت على مقاليد الأمور .

هزّ مدير المخابرات رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل ! إنها تحصل على ما تريد ؛ لأنها تدفعنا إلى اللهاث فحسب ، بحيث لا نجد الوقت الكافى ؛ للسعى خلفها ، ومحاصرتها بمعلوماتنا وتحركاتنا ، ولكننا سنمنحها المال ؛ لنربح بعض الوقت ، الذى سنستغله فى معرفة هويتها ، وجمع كافة المعلومات عنها ؛ بحيث ننقض عليها فى الوقت المناسب ، قبل أن تستمتع بما ستحصل عليه منا .

سأله الرئيس فجأة :

ـ السؤال هو : كيف ستحصل عليه منا ؟!

استدار الجميع إليه ، غير مستوعبين طبيعة سؤاله ، فاستطرد فى توتر ملحوظ :

ـ هل تخيّل أحدكم حجم الفراغ ، الذى يمكن أن يحتله مائة مليار دولار ؟!

غمغم وزير الدفاع ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

ـ أظنها تحتاج إلى حجرة كهذه .

أجابه مدير المخابرات فى سرعة :

ـ هذا لو طلبتهم نقداً .

سألته مستشارة الأمن فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها بنفس السرعة :

ـ أعنى أنها محترفة ، وتدرك جيداً أن النقود يمكن تتبُّعها بأية وسيلة ، لذا فلن تطلب الحصول على المبلغ أبداً ، فى شكل أوراق نقدية .

سأله الوزير فى اهتمام :

ـ كيف ستحصل عليه إذن ؟!

أشار مدير المخابرات بسبابته ، مجيبًا :

ـ من الناحية الاحترافية البحتة ، لايوجد أفضل من الماس .

اعتدل الرئيس فى مقعده ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

ـ حقًا ؟!

أجابه مدير المخابرات فى حزم :

ـ الماس النقى صغير الحجم ، باهظ الثمن ، وحفنة واحدة منه ، قد تساوى ملايين الدولارات ، أى أن حقيبة من الماس شديد النقاوة ، قد تساوى المبلغ كله .

بدت مستشارة الأمن القومى شديدة الانفعال ، وهى تقول :

ـ حقيبة واحدة ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. حقيبة بسيطة ، لاتلفت الانتباه إليها أبدًا ، فى مكان مزدحم برجال الأعمال ، مثل (وول ستريت) .

صمت الجميع تمامًا ، بعد عبارته الأخيرة ، وتبادلوا

نظرة طويلة ، قبل أن تقول مستشارة الأمن القومى فى صرامة :

ـ لو أن هذا هو الحل الاحترافى الوحيد ، فلِمَ لانستعد لمواجهته بالفعل ؟!

سألها مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابت فى توتر :

ـ بأن نعدّ الحقيبة على الأقل ، ونزوّدها بجهاز تعقُّب إليكترونى ، و...

قاطعها مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ هراء .

استدارت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكنه تجاهل انفعالها تمامًا ، وهو يقول :

ـ استخدام حقيبة مزوّدة بجهاز تتبُّع ، مع امرأة نجحت فى السيطرة على النظام الأمنى الإليكترونى ، بالغ الدقة والحداثة فى الكونجرس ، أشبه بمحاولة الانتحار بسيف صدئ .. كثير من الألم ، وقليل من التأثير .

قالت المستشارة فى حنق :

ـ وما الذى تقترحه أنت إذن ، يا عبقرى العباقرة ؟!

أشار مدير المخابرات بسبابته ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ القمر الصناعى .

تألقت عينا مستشارة الأمن ، وهى تهتف :

ـ آه .. بالطبع .. كيف نسينا هذا ؟! إننا نستطيع تتبُّع خط سير حقيبة العـاس ، بوساطة أقمارنا الصناعية للتجسُّس .. إنها قادرة على تحديد لون الملابس الداخلية لأى شخص ، فى أى مكان فى العالم ، و...(*)

قاطعها مدير المخابرات ، فى سخرية متعمَّدة :

ـ وهل صدقت هذه الدعاية ، يا مستشارة الأمن القومى البارعة ؟! المفترض منها أن ترهب خصومنا ، لا أن نصدقها نحن .

عاد وجه مستشارة الأمن يحتقن ، وهى تهتف :

ـ أيها الـ ...

(*) قبل حرب (العراق) الثانية ، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية ، أن أقمارها الصناعية للتجسُّس ، قادرة على معرفة لون الملابس الداخلية للرئيس العراقى ، وفى أثناء الحرب فشلت حتى فى العثور على الرئيس نفسه .

قاطعها الرئيس الأمريكى ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، ويهبّ من مقعده بحركة حادة :

ـ كفى .

صمت الجميع ، والتفتوا إليه فى توتر ، فتابع فى غضب :

ـ أشعر وكأننى فى حجرة ، تضم بعض أطفال مرحلة الحضانة ، وليس كبار المسئولين فى الدولة !! إنكم تتشاجرون وتتشاحنون ، حول تفاهات سخيفة ، فى الوقت الذى تواجه فيه البلاد أخطر كارثة ، فى تاريخها كله .

احتقن وجه وزير الدفاع ، وعقدت مستشارة الأمن حاجبيها فى توتر ، فى حين ارتبك مدير المخابرات المركزية ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس .. لم نكن نتشاحن فى الواقع ، ولكننى كنت أطرح اقتراحًا خاصًا بالأقمار الصناعية ، و...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يحتقن وجهه ، ويهتف بكل انفعال الدنيا :

ـ سيادة الرئيس .. لقد عرفت ماهية السلاح ، الذى تستخدمه

خصمتنا ؛ لتوجيه ضرباتها الساحقة .. يا إلهى ! لقد عرفته بالفعل .

وكانت مفاجأة حقيقية للجميع ..

مفاجأة قوية ، وعنيفة ..

للغاية .

* * *



٦ ـ الرحلة العجيبة ..

« ما أروع الحياة هنا ! »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى استمتاع كبير ، وهو يسترخى على مقعد شاطئ وثير ، أمام مياه القناة ، ويلتهم شطيرة ساخنة ، وإلى جواره طبق يمتلئ بالشطائر المماثلة ، وزجاجة مياه غازية ضخمة ؛ من الطراز المخصص للاستخدام العائلى ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، ارتفع معه كرشه الضخم ، فربّت عليه فى رفق ، مستطردًا فى حرارة :

ـ لست أدرى لماذا لم تدعنا إلى هنا من قبل يا (أدهم) ، مادمت تمتلك المكان منذ ما يقرب من عشر سنوات ، كما تقول ؟!

كان يتوقع ردًا على تساؤله ، إلا أن (أدهم) لم ينبس ببنت شفة ، وهو يجلس على مقعد مجاور له ، متطلعًا إلى مياه القناة ، فى شرود عجيب ، فاعتدل يسأله مرة أخرى :

ـ (أدهم) .. هل ..

أمسكت (منى) يده فجأة ؛ لتمنعه من الاستطراد ، وهى تقول فى خفوت ، حمل قدرًا ملحوظًا من الحزم :

ـ اصمت يا (قدرى) .

التفت إليها (قدرى) فى دهشة ، فتابعت بحزم أكبر :

ـ اتركه لحاله الآن .

لاذ الاثنان بالصمت التام ، وهما يراقبان (أدهم) ، الذى بدا وكأنه قد انفصل تماماً عما حوله ، وغرق بكيانه كله فى لجة من الأفكار ، وعيناه تتطلعان إلى مياه القناة ، فى صمت شارد عميق ..

ولقد طال صمته ..

وطال ..

وطال ..

ولكن أحدهما لم ينبس ببنت شفة ..

كلاهما راح يراقبه ، فى اهتمام ممزوج بالقلق والتعاطف ، وكأنهما لم يرياه أبداً على هذا النحو ..

(منى) بالذات ، كان قلبها ينفطر من أجله ..

كان يتعذَّب ..

ويتألم ..

ويبكى ..

وعبر جسدها كله ، انطلقت دموع قلبها تسرى فى عروقها ، وتلتهب معها كل خلية من خلاياها ، حتى تمنت لو أنها تستطيع أن تنقل كل أحزانه وأتراحه إليها ؛ لتراه مبتسماً حيوياً ، كما عهدته دائماً ..

فمنذ استضافهما فى فيلته الصغيرة ، وعلى الرغم من اهتمامه البالغ ، بتوفير كل سبل المتعة والراحة لهما ، ومن أحاديثهما الطويلة ، التى كانت تستمر فى بعض الأحيان ، حتى مطلع الفجر ، أو حتى يرتفع شخير (قدرى) ؛ ليطغى على كل ما حوله ، كانت تشعر أنها لاتجلس مع (أدهم صبرى) الذى تعرفه ..

ليس مع ذلك الرجل ، الذى تتفجّر الحماسة دوماً من كل خلية فى جسده ، وتتألق الحيوية طوال الوقت ، وهى تطلّ من عينيه ..

ليس ذلك البطل ، الذى ظلت مبهورة به ، طوال فترة عملها كلها معه ..

إنه الآن شخص آخر ..

شخص تبتسم شفتاه ، على الرغم من محيط الحزن والأسى ، الذى يفيض من عينيه ..

شخص يحمل هموم الدنيا كلها فى صدره ..

فى عقله ..

فى قلبه ..

وفى كيانه كله ..

ومن الواضح أنه يخفى فى أعماقه سرًا كبيرًا ..

سرًا يتعلق بمعشوقته الأولى ..

(مصر) ..

سرًا يرفض الإفصاح عنه ، حتى لها أو لـ (قدرى) ..

ويا له من سر !

رباه ! كم تحبه !

كم تتعذب وتتمزق من أجله !

كم تتمنى لو تمنحه سعادة الدنيا كلها ؛ حتى تمحو من قلبه كل ما ينوء به من عذابات وأحزان ..

وبكل حب وحنان وأسى ولوعة الدنيا ، تطلَّعت إليه فى صمت ، وقلبها يخفق من أجله ..

ويخفق ..

ويخفق ..

و....

« هل تعلمون كم مرة عبرت فيها مياه هذه القناة ؟! »

نطقها (أدهم) فجأة ، وهو يواصل التطلُّع إلى مياه القناة ، فانتفض جسد (منى) ، وكأنه قد انتزعها من سبات عميق ، فى حين تساءل (قدرى) ، فى اهتمام حقيقى :

ـ كم ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه فى بطء ، واستدار إليهما بابتسامة هادئة ، لم تنجح فى محو الحزن المطلّ من عينيه ، وهو يقول :

ـ أنا نفسى أجهل العدد الصحيح ، فقد كنت عنصرًا أساسيًا ، فى كل العمليات التى قامت بها وحدات الصاعقة ، قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣م .. كنا نعبر القناة ، تحت جنح الظلام ، ونوجه إلى العدو ضربات عنيفة قاصمة ، فندمر وحداته ، وننسف مخازن ذخيرته ، ونقطع خطوط مواصلاته ، ثم نعود إلى وحداتنا ، قبل مطلع الفجر .

حملت كلماته لمحة مدهشة ، توحى بأنه يستعيد ذكرى سعيدة ، على الرغم من الحزن ، الذى لم يفارق عينيه أبدًا ، فغمغمت (منى) :

ـ أظنها كانت أفضل أيامك .

تطلّع إلى عينيها بضع لحظات في صمت ، قبل أن يهز رأسه في بطء ، مجيبًا بصوت دافئ حنون :

- كلاّ .

ثم مال نحوها ، والتقط أصابعها الرقيقة في راحته ، وهو يضيف ، بصوت أكثر دفئًا وحنانًا :

- أفضل أيامي على الإطلاق ، تلك التي عملنا فيها معًا .

ارتفع حاجبا (قدري) في تأثُّر ، وبدا له أنه سينفجر باكيًا ، فأشاح بوجهه ، في محاولة لكتمان دموعه ، التي تقاتل في استماتة ؛ للانهمار من عينيه ، في حين سرت قشعريرة دافئة عجيبة ، في جسد (منى) كله ، وهي تهتف بصوت ارتجفت نبراته :

- (أدهم) .

مال نحوها أكثر ، وهو يقول :

- (منى) .. لقد أضعنا الكثير من الوقت ، والتهمتنا المتاعب ، التي لم تتوقّف عن وضع نفسها في طريقنا ، منذ زمن طويل ، حتى نسينا أنفسنا .

سرت ارتجافة خافتة في جسدها ، وخفق قلبها بين

ضلوعها في قوة ، وارتفعت الدماء إلى وجنتيها ، وحاولت أن تقول شيئًا ..

أي شيء ..

ولكن الكلمات احتبست في كيانها ، ورفضت الخروج إلى لسانها ، وهي تتطلّع إليه في لهفة ، متسائلة عما إذا كان سينطقها أخيرًا ..

أما هو ، فقد صمت لحظة ، امتزج خلالها ذلك الحزن ، المطل من عينيه ، بفيض من الحب والحنان ، قبل أن يقول ، بصوت حمل دفء الدنيا كله :

- (منى) .. هل ..

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه المحمول ..

ارتفع لينتزع ثلاثتهم بغتة ، من ذلك البحر من المشاعر ، حتى إن (منى) قد انتفضت في عنف ، وهي تطلق شهقة مرتفعة ، في حين سقطت الشطيرة من يد (قدري) ، وهو يهتف :

- رباه !

الوحيد الذى تصرَّف بتماسك متوقَّع ، كان (أدهم) نفسه ، الذى اعتدل فى سرعة ، والتقط هاتفه المحمول بحركة تلقائية ، وضغط زر الاتصال فيه ، دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وقال فى حزم :

- (ن - ١) يا سيِّدى .

كان من الواضح أن الرنين الخاص ، الذى انطلق من هاتفه ، والذى يختلف عن رنينه المعتاد ، كان ينبئه بأن محدِّثه هو مدير المخابرات العامة نفسه ، لذا فقد هبَّ من مقعده ، وابتعد عن رفيقيه بضع لحظات ، وهو يستمع إليه فى اهتمام بالغ ..

وفى دهشة ، تساءل (قدرى) :

- لماذا استخدم (أدهم) كوده السرى ؟!

غمغمت (منى) ، وقلبها يخفق فى قوة :

- إنه اتصال من الإدارة .

اعتدل (قدرى) ، هاتفًا فى انفعال :

- حقًا ؟!

وكعادته ، كلما بلغ انفعاله ذروته ، التقط شطيرة جديدة ،

وقضم منها قطعة كبيرة ، لاكها بين فكيه ، فى سرعة كبيرة ، وهو يراقب (أدهم) ، الذى استغرق بمشاعره كلها ، فى الاستماع إلى مدير المخابرات ، دون أن يقاطعه بحرف واحد ، وهو يبتعد عن رفيقيه بخطوات واثقة حاسمة ، حتى بلغ سور الفيلا ، قبل أن يقول فى حزم :

- كلى فداء لـ (مصر) يا سيِّدى .. أنا مستعد تمامًا لتنفيذ المهمة ، مهما كان الثمن .

ثم عاد إلى صمته وانتباهه ؛ لنصف دقيقة أخرى ، قبل أن يقول :

- أنا مستعد تمامًا ... سأعد حقيبتى فى سرعة .. وأنتظرهم .

أنهى الاتصال ، وتحرك عائدًا إلى رفيقيه ، فتساءل (قدرى) فى لهفة وانفعال :

- هل تعتقدين ..

قاطعته فى انفعال :

- أى سؤال هذا ؟! ألم تر كيف هو الآن ؟!

كانت صادقة فى تساؤلها تمامًا ، فـ (أدهم) ، الذى اتخذ طريقه نحوهما ، فى خطوات قوية حيوية ، كان يختلف

تمامًا عن ذلك الذى كان يجلس ، منذ دقائق قليلة ، متطلعًا إلى مياه القناة فى شرود ..

وعندما اقترب منهما ، شعرت (منى) بارتجافة جديدة ، تنطلق عبر كيانها كله ، وهى تتطلع إلى عينيه ، اللتين زايلهما ذلك الحزن العميق الدفين ؛ لتحل محله نظرة مفعمة بالحيوية والنشاط ، اللذين انتقلا إلى صوته ، وهو يقول :

ـ يمكنكما البقاء هنا حسبما تشاءان يا رفاق ، فأنا مضطر للعودة إلى (القاهرة) فورًا .

قال (قدرى) فى دهشة :

ـ إلى (القاهرة) ؟! هل طلبوا عودتك ، فى الثامنة صباحًا ؟!

أما (منى) فنهضت ، قائلة فى حزم :

ـ فليكن .. سنرافقك إلى هناك ، و..

استوقفها بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ معذرة يا عزيزتى ، ولكن الهليكوبتر لن تتسع إلا لشخص واحد .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة بالغة ، فى حين هتفت (منى) :

ـ هليكوبتر ؟! أهى مهمة عاجلة إلى هذا الحد ؟!

امتزج جوابه بهدير مراوح الهليكوبتر ، التى ظهرت فى سماء المكان ، وهو يقول ، بلهجة حملت استمتاعًا واضحًا :

ـ هى كذلك بالفعل .

وخفق قلب (منى) مرة أخرى بقوة ..

بمنتهى القوة ..

* * *

بدا (آلان راكويل) ، مندوب المخابرات المركزية الأمريكية ، شديد التوتر والانفعال ، وهو يصافح (أدهم) ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيد (أدهم) .. يسعدنى وصولك إلى هنا بهذه السرعة ، فكل دقيقة لها ثمنها الآن ، والرؤساء فى الولايات المتحدة ، يطلبون وصولك إلى هناك ، بأقصى سرعة ممكنة .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ بالنسبة للسفر إلى بلادك ، لن تنخفض أقصى سرعة هذه عن عشر ساعات على الأقل .

هز الأمريكى رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنهم يريدونك هناك ، خلال ست ساعات فحسب .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ست ساعات ؟! ولكن ما من طائرة يمكنها أن تقطع هذه المسافة ، خلال ..

قاطعه الأمريكى بمنتهى الحزم :

ـ إننا نتحدث عن مقاتلة حربية ، من أحدث طراز متاح .

التقى حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ مقاتلة حربية ؟!

أجابه (راكويل) فى سرعة :

ـ نعم .. مقاتلة حربية جديدة ، يمكنها أن تؤمّن السرعة المناسبة ، التى تساعدك على الوصول إلى (واشنطن) ، خلال ست ساعات .

قال (أدهم) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ـ أعرف تمامًا قدرات مقاتلتكم الجديدة ، وسرعتها الفائقة ، التى تبلغ ضعف السرعات القصوى المعروفة ، ولكن معلوماتى تقول : إنها لاتصلح إلا لراكب واحد ، وهو قائدها ، ثم إن خزان وقودها لا يسمح لها بقطع هذه المسافة الهائلة ، دون التزود بالوقود ثلاث مرات على الأقل .

التقى حاجبا (راكويل) ، وهو يسأله فى توتر :

ـ ما الذى تعرفه أيضًا ، عن مقاتلتنا الجديدة الـ ... السرية ؟!

ضغط حروف الكلمة الأخيرة ، فى غضب واضح ، فهزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، مجيبًا :

ـ تصميمات مقاتلتكم الجديدة ، التى تتصوّرونها سرية ، كانت ترقد فى أعماق خزانة (جون روتشيلد) ، مستشار الأمن القومى الإسرائيلى ، عندما اقتحمناها نحن ؛ لنحصل منها على بعض الأوراق المهمة ، التى أرسلناها إليكم ، فتجاهلتم محتواها تمامًا .

سأله (راكويل) فى غضب :

ـ أتعنى أن الإسرائيليين هم الذين ..

لم يتم تساؤله ، فقال (أدهم) فى سخرية :

ـ نعم .. هم الذين ... والذين أيضًا .

ازداد انعقاد حاجبى (راكويل) ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة ، فارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يرفع أحد حاجبيه ، ثم يخفضه ، على نحو عابث مستفز ، جعل الأمريكى يقول فى حدة :

ـ فليكن يا مستر (أدهم) .. لا وقت لدينا للدخول فى مثل هذه المشاحنات السخيفة ، فلكل دقيقة ثمنها ، كما سبق أن أخبرتك .

ثم تنحنح ، وشد قامته ؛ ليضيف فى حزم :

ـ أنت ستقود مقاتلتنا .

ألقاها متوقعًا أن تتسع عينا (أدهم) فى دهشة وانبهار ، إلا أن هذا الأخير ظلّ هادئًا قويًا ، وهو يتساءل :

ـ وماذا عن مشكلة الوقود ؟!

فرد الرجل أمامه خريطة ملاحية ، وأشار إليها ، مجيبًا :

ـ فى هذه البقعة ، وفى تلك أيضًا ، ستكون هناك حاملتا طائرات فى انتظارك ، ولديهما كل الأوامر اللازمة لتزويدك بالوقود ، فور هبوطك على سطح أىٍّ منهما .

قال (أدهم) بنفس الهدوء والقوة :

ـ الهبوط على سطح حاملة طائرات ، فى قلب المحيط ، ليس بالأمر الهين ، وأنا لم أقم به من قبل قط .

أشار (راكويل) بسبّابته ، قائلاً فى توتر :

ـ ولكن ملفك يؤكّد أنك طيار بارع ، لا يشق له غبار ،

كما تقولون فى لغتكم ، ورؤسائى لديهم ثقة شديدة ، بأنه باستطاعتك القيام بهذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ قلت : إنه ليس بالأمر الهين ، ولم أقل : إنه مستحيل !

قال (راكويل) فى سرعة :

ـ وحتى لو كان ذلك .

وتوقّف لحظة ، عضّ خلالها شفته السفلى فى مقت ، قبل أن يتابع :

ـ فملفك يقول : إنك قادر على قهر المستحيل .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يتساءل :

ـ وماذا عن المرة الثالثة ؟!

تطلّع إليه (راكويل) بنظرة غريبة لبضع لحظات ، وكأنه لا يفهم السؤال ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، هاتفًا :

ـ آه .. تقصد احتياجك إلى التزود بالوقود لثالث مرة .

قال (أدهم) ، فى لهجة حملت لمحة ساخرة :

ـ بالضبط .

ابتلع الأمريكى غضبه ، وهو يجيب :

ـ ستكون قد اقتربت من سواحل الولايات المتحدة الأمريكية إلى حد ما ، لذا سيتم تزويدك بالوقود فى أثناء الطيران ، بوساطة طائرة وقود ضخمة ، ستحلق فوقك ، وتمد أنبوبًا خاصًا ، إلى فتحة الوقود فى مقاتلتك ، وكل ماسيكون عليك فعله عندئذ ، هو أن تخفض من سرعة المقاتلة ؛ حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، خلال فترة التزود فحسب ، ثم ..

قاطعه (أدهم) هذه المرة فى حزم :

ـ أعرف ما ينبغى فعله حينذاك .

التقط الأمريكى نفسًا عميقًا ، وهو يتطلع إليه مباشرة ، قبل أن يمد يده لمصافحته ، قائلاً :

ـ أعلم جيدًا أنك تؤدى هذه المهمة ، فقط لأنك تلقيت الأوامر بهذا من رؤسائك ، أو لأنكم ستحصلون على تعاون كبير منا ، مقابل تعاونكم معنا ، وأنه لو تعلق الأمر بنا وحدنا ، لما حركت سبابتك من أجلنا .

قال (أدهم) فى برود :

ـ هذا صحيح .

تجاهل الأمريكى قوله تمامًا ، وتابع :

ـ واعلم أيضًا أن المهمة ، على الرغم مما تبدو عليه من بساطة ، قد تنطوى على قدر هائل من الخطر ، ولكننى أريد أن أقول لك : إنه لو تمت المهمة بنجاح ، حاول ألا نلتقى مرة ثانية أبدًا ؛ لأنه لو حدث هذا ، سأبذل قصارى جهدى للقضاء عليك ، مهما كلفنى هذا ؛ لأننى لا أمقت شخصًا فى الدنيا كما أمقتك .

صافحه (أدهم) فى هدوء مستفز ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :

ـ حاول أنت ألا نلتقى عندئذ ، فستعلو ضحكاتى الساخرة حتمًا ، عندما أراك تفشل فى مسعاك ، وتبكى فى مرارة كالأطفال .

قال (راكويل) ، بكل مقت الدنيا :

ـ سنرى يا مستر (أدهم) .. سنرى .

رفع (أدهم) حاجبه وخفضه مرة أخرى ، وهو يقول بنفس الابتسامة الساخرة :

ـ نعم يا مستر (راكويل) .. سنرى .

وكانت هذه هى البداية ..

بداية المأزق ..

أكبر مأزق سيواجهه (أدهم) فى حياته ..

على الإطلاق ..

* * *

نفثت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الحمراء ، فى بطء واستمتاع ، وهى تراجع المعلومات ، التى تراصت على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قبل أن تسترخى فى مقعدها ، قائلة :

ـ عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

قال قائد قواتها فى قلق :

ـ ولكن المعلومات تقول : إنهم يراجعون ملفات الأقمار الصناعية ، مما يعنى أنهم قد كونوا فكرة معقولة ، عن طبيعة السلاح الذى نستخدمه .

هزّت كتفيها فى لامبالاة ، قائلة :

ـ كانوا سيتوصلون إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً .

سألها فى دهشة :

ـ ألا يقلقك هذا ؟!

ابتسمت ابتسامة غامضة ، وهى تقول :

ـ كل شىء ما زال تحت السيطرة .

سألها ، فى شىء من التوتر :

ـ كل شىء ؟!

أجابته بمنتهى الحزم :

ـ نعم .. كل شىء .

مطّ شفتيه ، وهو يراجع المعلومات على شاشة الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن يغمغم :

ـ ربما .

أدارت إليه عينين ساخرتين ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، قبل أن تقول :

ـ قل لى يا رجل : هل يتضمّن عقدك أن تفكّر ؟!

حدق فى وجهها ، قائلاً فى حيرة :

ـ ماذا تعنين أيتها الزعيمة ؟!

استدارت إليه بجسدها الفاتن كله ، وهى تقول ، فى صرامة واضحة :

ـ أعنى أننى عندما استأجرت خدماتك ، أخبرتك بمنتهى الوضوح ، أنك ستحصل على هذه المكافأة الضخمة ، مقابل خدماتك وخبراتك العسكرية والقتالية ، ولم أشر لحظة واحدة ، إلى أننى أحتاج إلى ذكائك أو عبقريتك .

تطلّع إليها فى تساؤل حائر ، فاكتسب صوتها قسوة وصرامة ، وهى تقول فى شراسة :

ـ باختصار ، أريد منك أن تبذل نفسك قتاليًا ، وتترك كل ما يتعلّق بالتفكير والتدبير لى وحدى .. هل تفهم ؟!

مضت لحظة من الصمت ، تطلّع كل منهما خلالها إلى عينى الآخر ، قبل أن يقول هو متراجعًا :

ـ كنت أبدى رأيى فحسب .

قالت بنفس الصرامة الشرسة :

ـ فى المرة القادمة ، احتفظ برأيك هذا لنفسك .

قال ، فى شىء من التوتر :

ـ ولكننا فى زورق واحد .

صاحت فى غضب :

ـ وأنا قبطان هذا الزورق .

تزايد توتره ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، أظننى أحتل منصب الضابط الأول ، ومن حق من فى منصبى أن يبلغ القبطان بكل ما يتراءى له ، وبكل ما خفى عنه .

قالت بكل الصرامة :

ـ على أن يتخذ القبطان القرارات وحده فى النهاية .

انخفض صوته ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

قوله الأخير هذا جعلها تتراجع عن غضبتها الشرسة ، وتستعيد ابتسامتها الساحرة ، قائلة :

- عظيم .. هذا يضع النقاط على الحروف فى وضوح .

ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، متابعة :

- هل لاحظت أنهم قد استعانوا بأكثر رجالهم خبرة وحنكة ؛ لفحص تلك الحجرة ، التى قمنا بالبث منها ، عبر شبكة الاتصالات الداخلية ، فى مبنى الكونجرس ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- الفريق الذى استعانوا به ، من أبرع رجال الطب الشرعى والمعامل الجنائية لديهم ، وهو المسئول عن حل معظم الجرائم شديدة التعقيد ، فى الولايات المتحدة كلها .

وصمت لحظة ، ثم تابع فى توتر ، لم يستطع كبحه :

- إنهم معتادون على فحص مسرح الجريمة ، بمنتهى الدقة والعناية ، وكل شىء يعثرون عليه فيها ، يمكن أن

يقودهم إلى نتيجة ما .. بصمة إصبع .. شعرة رأس ، أو حتى أثر حذاء .

وصمت لحظة ، ثم واصل ، فى شىء من العصبية :

- إنهم بارعون بحق .. بارعون إلى أقصى حد ممكن .

أدهشه بشدة أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ، وهى تقول فى استمتاع عجيب :

- عظيم .. عظيم .

قالتها ، ثم انطلقت من حلقها ضحكة عالية عابثة ، قبل أن تلقى ما تبقّى من سيجارتها الحمراء بعيدًا ، وتتابع فى جذل وحشى عجيب :

- سيروق لى كثيرًا ما سيعثرون عليه هناك .. وسيروق لى أكثر ما سيتوصلون إليه .

وعادت تطلق ضحكة عابثة طويلة ممطوطة ، ثم تلتقط نفسًا عميقًا ، وتقول فى شىء من المرح :

- كل شىء يسير على ما يرام بالفعل .

مع آخر كلماتها ، انطلق من الكمبيوتر أزيز خافت ، وظهر فى ركن شاشته رسم لمظروف مغلق ، يعلن وصول رسالة عاجلة ، فمالت الزعيمة نحو لوحة الأزرار ، وهى تقول فى اهتمام :

ـ معلومة عاجلة .

وضغطت أحد أزرار اللوحة ، فانفتح رمز المظروف ، وظهرت الرسالة كاملة على الشاشة ..

كانت رسالة قصيرة ، تحوى جملة واحدة فحسب ..

وبسرعة ، التهمت عينا الزعيمة كلمات الرسالة القصيرة ، ثم تألقت عيناها فى شدة ، وهى تقول :

ـ آه .. لقد فعلوها .

سألها قائد قواتها فى لهفة :

ـ هل استعانوا حقًا بذلك المصرى ؟!

أشعلت سيجارة جديدة ، ونفثت دخانها فى عمق ، وهى تقول بلهجة غامضة :

ـ جواب هذا السؤال لم يشغلنى لحظة واحدة .. كنت واثقة من أنهم سينفذون ما طلبته حتمًا .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى شىء من الحزم :

ـ السؤال الذى كان يقلقنى : هل سيوافق هو على مساعدتهم ؟!

سألها قائد قواتها فى اهتمام حائر :

ـ ولماذا الإصرار على هذا المصرى بالتحديد ؟!

نفثت دخان سيجارتها بمنتهى البطء ، قبل أن تجيب ، فى استمتاع عجيب :

ـ لأن وجوده سيجعل اللعبة أكثر إمتاعًا .. أكثر بكثير .

قالتها ، وعادت تطلق تلك الضحكة الطويلة العابثة ..

وفى هذه المرة ، وربما لأول مرة منذ عرفها ، شعر قائد قواتها بالخوف منها يسرى فى عروقه ..

فعلى الرغم من جمالها وفتنتها ، وضحكتها العابثة الطويلة ، بدت له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بوحش ..

وحش كاسر ..

للغاية .

* * *



٧ ـ السر ..

التقى حاجبا مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، وانقلبت سحنتها ، على نحو زاد ملامحها قبحًا ، وهى تتابع شخصيًا ، عملية فحص تلك الحجرة ، التى تم بث اتصال الزعيمة منها ..

كان فريق خبراء الأدلة الجنائية يقوم بفحص المكان ، فى دقة متناهية ، بحيث يستحيل أن تفوتهم لمحة واحدة ..

كانوا يجمعون كل ذرة يجدونها ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، وكل جدار ، ويستخدمون أحدث معداتهم ؛ لكشف كل ما يمكن كشفه ..

وبعد ثلاث ساعات كاملة من العمل ، تقدم قائد الفريق من مستشارة الأمن ، وقال وهو يمسح العرق الغزير ، الذى غمر وجهه ، على الرغم من برودة الجو :

ـ أمازلت تصرين على البقاء ياسيدتى ؟! الرجال يقومون بعملهم على أكمل وجه ، ولكن وجودك بينهم يثير توترهم ، إلى حد ما .

قالت فى خشونة :

ـ دعهم يعتادون هذا .

مطَّ شفتيه ، قائلاً :

ـ ولكن ما فائدة وجودك هنا ؟!

بدت أشبه بقطة مفترسة ، وهي تسأله :

ـ هل عثرتم على بصماتها ؟!

أشار الرجل بسبابته ، قائلاً :

ـ المكان يحوى العديد من البصمات ، و..

قاطعته في صرامة :

ـ تلك الحقيرة لم تكن ترتدى قفازات ، وستجدون بصماتها حتمًا ، في مكان ما هنا ، لو قمتم بعملكم كما ينبغي .

بدا الضيق واضحًا في ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ـ إننا نقوم بعملنا أفضل مما ينبغي يا سيدتي ، ولكن البصمات لا يمكن فحصها في مسرح الجريمة .. لابد أن نحملها إلى معاملنا ؛ حيث شبكة الكمبيوتر والـ ...

قاطعته بنفس الصرامة :

ـ ما الذي تحتاجون إليه بالضبط ؟!

تطلَّع إليها ، في دهشة متسائلة ، فتابعت بصرامة أكثر :

ـ ما الذي تحتاجون إليه ؛ لأحصل على النتائج فورًا ؟!

بدا عليه الغضب ، وهو يقول في حدة :

ـ ما نحتاج إليه بالفعل ، هو أن تتركينا وشأننا يا سيدتي .. دعينا نعمل كما ينبغي ، واذهبي أنت لتمارسي عملك كما ينبغي .

احتقن وجهها الأسمر ، وهي تهتف :

ـ كيف تجرؤ أيها الـ ..

قاطعها في صرامة شديدة :

ـ لست أجرؤ فحسب ، ولكنني أحتج أيضًا .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

ـ وبأسلوب عملي .

قالها ، والتفت إلى فريق الفحص ، هاتفًا بلهجة آمرة صارمة :

ـ توقفوا .

لم يكد ينطقها ، حتى توقف الرجال دفعة واحدة ، ونهضوا واقفين ، كجنود في حالة استعداد قتالي ، مما ضاعف من احتقان وجهها ، وهي تهتف ، بكل غضب الدنيا :

ـ هل تدرك ما تفعلونه ؟!

أجابها الرجل فى صرامة :

- نعم يا سيدتى .. ندرك جيدًا أننا نرغب فى أداء عملنا كما ينبغى ، وأننا لن نسمح لأى مخلوق ، أيًا كان منصبه ، أن يفسد عملنا ، أو يدس أنفه فيه ، ولو لحظة واحدة .

هتفت :

- أتعلم أن باستطاعتى أن ..

قاطعها بنفس الصرامة ، وهو يواصل حديثه :

- ولو أننا عجزنا عن القيام بعملنا لهذا السبب ، فنحن نعلن فشلنا ، ونتقدّم باستقالتنا الجماعية .. فورًا .

حدقت فى وجهه بضع لحظات ، وكأنها لا تصدّق ما تسمعه منه ، وتصارعت فى أعماقها رغبتها فى الحصول على النتائج ، مع غضبها من تحديهم لها ، إلا أنها لم تلبث أن قالت ، وهى تندفع خارج المكان فى حدة :

- واصلوا عملكم .

كان الغضب يتفجّر ، فى كل خلية من خلاياها ، وهى تسير فى خطوات عصبية سريعة ، عبر ممرات الكونجرس ، مغمغمة :

- أيتها الحقيرة .. أنت السبب فى كل هذا .. أقسم أن أسحقك سحقًا ، عندما أظفر بك .

مع آخر حروف كلماتها ، ارتفع رنين هاتفها المحمول بغتة ، فالتقطته فى حركة عصبية ، قائلة :

- أتعشّم أن يحمل هذا الاتصال خبرًا سارًا .

ضغطت زر الاتصال ، وهى تقول فى حدة :

- ماذا هناك ؟!

أتاها صوت مدير المخابرات المركزية ، وهو يقول فى توتر :

- لقد كنا على حق .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى غضب :

- رباه ! هل استخدموا برنامجنا ضدنا ؟!

أجابها مدير المخابرات :

- نعم يا مستشارة الأمن القومى .. تلك الحقيرة سيطرت بوسيلة ما ، على أحد أقمارنا الصناعية ، التى كانت ضمن برنامج (حرب النجوم)(*) ، الذى لم يتم استكماله ؛ لأسباب اقتصادية وسياسية .. لقد سيطرت بالتحديد على القمر

(*) برنامج حرب النجوم ، هو برنامج عسكرى فضائى ، تم وضع أسسه ، أثناء فترة حكم الرئيس (ريجان) ، وهو يعتمد على وجود شبكة من الأقمار الصناعية ، تحيط بكوكب الأرض ، وتحمل مدافع الليزر القوية ، القادرة على سحق أى هدف ، فى أية بقعة من الأرض ، ولقد تم إيقاف البرنامج ، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، باعتبار أنه لم يعد من المنطقى إنفاق مئات المليارات عليه ، بعد أن أصبحت (أمريكا) زعيمة العالم الجديد .

الوحيد ، الذى يحوى مدفع ليزر قادرًا على العمل ، وهى تستخدم أشعة الليزر غير المرئية ؛ لتنسف أهدافًا الأرضية ، وإزالتها تمامًا من الوجود .

مضت لحظات من الصمت ، عجزت مستشارة الأمن خلالها ، عن النطق بحرف واحد ، من شدة الذهول والاستنكار ، فتابع مدير المخابرات فى توتر بالغ :

ـ علماؤنا يحاولون استعادة السيطرة على القمر الصناعى ، ولكنهم يقولون إن الأمر عسير للغاية ؛ لأن تلك الحقيرة قد أبدلت شفرات الاتصال تمامًا .

قالت مستشارة الأمن ، وهى تبذل جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على انفعالها ، ونفض الذهول والغضب عن ذهنها وصوتها :

ـ وكم من الوقت نحتاج لاستعادة السيطرة عليه ؟!

أجابها فى مرارة :

ـ ثلاثة أيام ، على أقل تقدير ، باستخدام أحدث الأجهزة والمعدات ، وأفضل خبراء الشفرة والاتصالات .

تضاعف غضبها ، وهى تغمغم :

ـ يا للحقيرة !

كانت تشتعل غضبًا وثورة ، فى أعمق أعماقها ، ولكنها قاومت كل هذا فى استماتة ؛ لتضيف :

ـ ألا يمكن تعقُّب الوسيلة ، التى تسيطر بها على قمرنا ، وتوجه بها ضرباتها ؟! هناك محطة سيطرة أرضية حتمًا ، فى مكان ما هنا .

أجابها مدير المخابرات :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا لكشف هذا .

هتفت فى حدة :

ـ لقد سئمت عبارة (قصارى جهدنا) هذه ، فلايستخدمها دومًا سوى المقصرين .

قال مدير المخابرات فى غضب :

ـ اسمعى أيتها المستشارة .. أعلم أنك غاضبة مما يحدث ، وكلنا نعانى حالة الإحباط نفسها ، ولكن هذا لايمنحك الحق فى أن تتعاملى مع الآخرين ، بهذا الأسلوب الفظ الوقح ، وفى المرة القادمة ، لو تعاملت معى بهذا الصنف ، أو أشرت مجرَّد إشارة ، إلى ضعف كفاءتى ، أو كفاءة رجالى ، أو سخرت مما نفعل ، سأرسل ملفك السرى كله ، إلى كبريات الصحف ، فى

جميع أنحاء العالم ، وأنت تعلمين أنه يحوى كل ما يكفى ؛ لأن يضطر الرئيس إلى التخلى عنك ، والتضحية بمصيرك كله ؛ حتى لا يخسر فرصته الأخيرة ، فى الترشيح لفترة رياسة ثانية .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تسمعه ، وحاولت أن تقول أى شىء ؛ لإعلان اعتراضها وغضبها ، إلا أنها أدركت صحة ما يقول ، وأنه لن يتردد لحظة واحدة ، فى تدمير مستقبلها كله ، إذا ما تجاوزت حدودها ، فابتلعت كل ما تشعر به فى أعماقها ، وسألته محاولة تجاوز الموقف كله :

ـ هل من أخبار عن ذلك المصرى ؟!

أدرك مدير المخابرات الأمريكية هدفها ، فتجاوز الموقف بدوره ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لقد تزوَّد بالوقود للمرة الأولى بالفعل ، من حاملة الطائرات (جونسون) ، والرجال هناك يؤكدون أنه طيار بارع إلى درجة مدهشة ، وأن هبوطه وإقلاعه كانا مثاليين ؛ حتى إن بعض طياريهم قد شعروا بالغيرة منه .

مطَّت شفتيها ، قائلة فى مقت :

ـ لست أصدق أن مصرياً يمكن أن يكون بهذه البراعة .

صمت مدير المخابرات لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لو أنك تعيشين عالمنا ، لأدركت أن المصريين ليسوا بالتفاهة التى تتصورينها ، وأنهم عباقرة فى عدة مجالات ، ومقاتلون لا يشق لهم غبار ، فى مضمار القتال .

قالت فى غضب :

ـ هل يثيرون إعجابك إلى هذا الحد ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

ـ فى عالمنا ، نحترم الأبطال ، أيّاً كانت جنسياتهم ، ولو لم يكن ذلك الرجل أسطورة ، فى عالم المخابرات والجاسوسية ، لما أصرّ الإسرائيليون على ضرورة التخلص منه بأى ثمن كان .

قالت بنفس المقت :

ـ دعه ينجز مهمته أولاً ، وليتخلصوا منه فيما بعد .. أنا شخصياً سأجرى اتصالاتى مع الإسرائيليين ، و ...

قاطعها بغتة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سألته ، بكل توتر الدنيا :

ـ ماذا حدث عندك ؟!

صاح بها ، وانفعاله الجارف يكاد ينسف هاتفها :

ـ لن تصدقى ما فعلته تلك الحقيرة هذه المرة أيتها المستشارة .. لن تصدقى أبدًا .

صاحت به :

ـ ماذا حدث بالله عليك ؟!

وأخبرها مدير المخابرات بما حدث ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

وهوى قلبها بين قدميها ..

فما فعلته الزعيمة الغامضة هذه المرة ، كان مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

التقط مدير المخابرات المصرية تلك البرقية العاجلة ، التى قدمها له مساعده الأوّل ، وقرأ كلماتها فى سرعة ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويرفع سبابته إلى ذقنه ، قائلاً :

ـ إذن فقد تزوّد (ن ـ ١) بالوقود للمرة الثانية !

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن سيادة العميد يبهرهم بمهارته وقدراته المدهشة يا سيدى ؛ فهم يتحدثون عنه ، كما لو كان أسطورة حية .

غمغم المدير :

ـ إنه كذلك بالفعل .

نطقها فى شىء من الشرود ، فتطلّع إليه مساعده بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأله فى حذر :

ـ ما الذى يقلقك يا سيدى ؟!

رفع المدير عينيه إليه فى صمت ، طال لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقول فى قلق واضح :

ـ المرحلة الثالثة من الرحلة .

سأله المساعد :

ـ وماذا عنها ؟! سيادة العميد (أدهم) طيّار بارع للغاية ، باعتراف خبرائهم قبل خبرائنا ، وعملية التزوّد بالوقود فى أثناء الطيران ، عملية تحتاج إلى المهارة وقوة التحكم فى الطائرة ، وسيادته يجيد الأمرين بكفاءة تامة .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا ما يقلقنى .

قالها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة الحجرة ، ووقف يتطلّع عبرها فى صمت ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن سأل ، دون أن يلتفت إلى مساعده :

- ما أهم سلاح ، تواجه به أى خصم قوى ؟!

أجابه مساعده فى سرعة :

- المعلومات .

أومأ المدير برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

وصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- لو راجعت ما يحدث ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، لأدركت أن كفة المعلومات هناك غير متوازنة على الإطلاق ، وأن تلك الزعيمة الغامضة ، التى توجه ضرباتها القاصمة هنا وهناك ، لديها رصيد ضخم من المعلومات ، عن كل ما يدور

فى دهاليز السياسة وخزائن العسكرية ، فى معظم الأماكن والجهات ، شديدة الأهمية والخطورة ، فى الولايات المتحدة كلها ، وأن لديها ما يسمح لها بالتسلّل إلى أماكن شديدة الحساسية ، والدخول إلى مواقع بالغة الدقة ، فى نفس الوقت الذى يفتقر فيه الأمريكيون إلى أية معلومات وافية عنها ، تتيح لهم التصدّى لها ، ومواجهتها ، وإيقاف أو عرقلة مخططاتها .

وتوقّف ليتنهّد فى عمق ، ثم تابع فى قلق :

- وفى هذه المرحلة الأخيرة ، من رحلة (ن - ١) العجيبة الفريدة ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ستقترب مقاتلته رويداً رويداً من السواحل الأمريكية ، وسيصبح فى حاجة شديدة للتزوّد بالوقود ، وإلا سقطت طائرته فى المحيط .

تساءل مساعده ، وقد تفجّر قلق عارم فى أعماقه :

- سيّدى .. هل تشير إلى احتمال حدوث محاولة ما ؛ لمنع سيادة العميد ، من بلوغ (واشنطن) ؟!

أشار إليه المدير ، قائلاً فى قلق :

- أخبرنى أنت ، لماذا أصرّت تلك الزعيمة الغامضة ، على أن يكون (ن - ١) بالتحديد ، هو همزة الوصل ، بينها وبين

الحكومـة الأمريكيـة ، فـى مفاوضاتهـا معهـا ؟! لمـاذا رجـل مخابرات مصرى بالذات ؟!

ودون أن ينتظر جوابًا ، عاد يتطلّع عبـر النافـذة ، متابعًا بنفس القلق :

ـ ألا يثير هذا فى أعماقك بذرة شك ، فى أنها وسيلة مبتكرة ؛ لجلب (ن ـ ١) إلى الولايات المتحـدة الأمريكية ، والقضاء عليه بوسيلة ما ؟!

غمغم المساعد فى اقتضاب ، دفعه إليه التفكير العميق :

ـ ربما يا سيِّدى ؟

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن هناك نقطة أخرى ، لاتقل أهمية وخطورة .

التفت إليه المدير مرة أخرى ، وسأله فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه المساعد فى سرعة :

ـ سيادة العميد (أدهم) يقود طائرة مقاتلة ، تعتبر الأحدث من نوعها ، ومع مقاتل مثله ، ستصبح أية محاولة لإسقاطه أشبه بالانتحار .

صمت مدير المخابرات طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :

ـ هذا يقودنـا إلـى سؤال آخر .. كيـف يمكن أن يسمح الأمريكيون لرجل مخابرات مصرى ، بقيادة أحدث مقاتلاتهم ، والهبوط بها فى (واشنطن) ، دون أن يتخذوا كل الاحتياطـات اللازمة ، فى هذا الشأن ؟!

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ وجواب كل هذه الأسئلة يحتاج إلى السلاح نفسه .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يكمل فى حزم :

ـ المعلومات .

واحتواهما الصمت مرة ثانية ، وقد انطلقت أفكارهما إلـى هناك ..

إلى المحيط ..

محيط الخطر ..

* * *

كل شىء سار على ما يرام ، حتى هذه المرحلة ..

الرحلة كانت طويلـة ، ولكن المقاتلة الأمريكية الجديدة قوية بالفعل ، وتنطلق بسرعة مدهشة ..

وعمليتا التزوّد بالوقود تمتا فى إطار الجدول المسبق ، ودون أية متاعب أو مشكلات ، باستثناء نظرات الحقد والغيرة ، فى عيون الطيارين الأمريكيين ، وهم يتطلعون إلى المصرى ، الذى يقود أحدث طائراتهم ، فى مهارة مدهشة ، تفوق أقصى ما يتمنون بلوغه ..

ومن المؤكّد أنهم ، في تلك اللحظات ، قد تذكّروا تلك الحقيقة المؤلمة ـ بالنسبة لهم ـ والتى تؤكّد أن كفاءة الطيار المقاتل المصرى ، تفوق بعدة مرات كفاءة أفضل طيار مقاتل أمريكى ، أو حتى إسرائيلى ؛ لأن الطيار المصرى يعتمد دومًا على مهارته الشخصية ، أكثر مما يعتمد على تكنولوجيا مقاتلته ، كما يفعل الأمريكيون والإسرائيليون(*) ..

ولقد اقتربت المرحلة الثالثة ، والمفترض أن تظهر طائرة الوقود ، بين لحظة وأخرى ..

كانت المؤشرات تشير إلى أن الوقود يكفى لربع ساعة أخرى من الطيران ، قبل أن ينفد تمامًا ، قبل مئات الكيلومترات ، من الساحل الأمريكى ..

وفى اهتمام ، أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وهو يغمغم :

ـ هيا يا بطة الوقود .. لابد أن تظهرى الآن .

(*) حقيقة ، يمكن التأكد منها ببساطة ، عبر شبكة الإنترنت .

كان يقود المقاتلة الأمريكية الحديثة بمهارة حقيقية ، وبنشوة لم يشعر بمثلها من قبل ؛ ربما لأن المأزق ، الذى وقعت فيه زعيمة النظام العالمى الجديد قد كسر أنفها ، وسحق غطرستها ، ودفعها مرغمًا إلى الاستعانة به ..

برجل مخابرات (مصرى) ..

ومع الفكرة ، تسللت إلى شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ لقد أقروا بالحقيقة ، على الرغم منهم .. يا للزمن !

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يتابع :

ـ ولو أن الأمر بيدى ، لتركت تلك الزعيمة الغامضة تسحقهم سحقًا ، جزاء لما فعلوا بنا .

قالها ، وذهنه يستعيد عبارة رئيس الجمهورية ، فى لقائه معه ، قبل أن يقابل مندوب المخابرات الأمريكية ..

« إننا لانفعل هذا من أجل الولايات المتحدة الأمريكية أيها العميد (أدهم) .. إننا نفعله من أجلنا نحن ؛ فلو نجحت تلك الغامضة ، فى السيطرة على الإدارة الأمريكية ، وهزيمة أكبر دولة فى العالم ، لن تتردّد لحظة واحدة ، فى فرض سيطرتها على العالم كله ، وهى لن تستثنى (مصر) بالتأكيد .. »

وكانت نظرية الرئيس صحيحة تمامًا ..

فالحماقة ، كل الحماقة ، أن تسمح للخطر أن يستشرى ؛ لمجرّد أنه بعيد عن حدودك ..

هذا لأن الطبيعة الاستعمارية لا تشبع أبدًا ..

أعطها قيراطًا ، وستطلب فدانًا ..

وفدانًا ..

وفدادين ..

وأرض الدنيا كلها ..

الوسيلة الوحيدة إذن لدرء خطرها ، هو أن تقتلها فى مهدها ، وتسحقها مع مولدها ..

أن تطيح بها ، قبل أن تطيح هى بك ..

وبما حولك ..

ومن حولك ..

وبالدنيا كلها فيما بعد ..

دارت تلك الأفكار فى رأسه ، ومقاتلته تواصل انطلاقها ، فوق المحيط الأطلنطى ، وعيناه تبحثان فيما حوله ، و...

وفجأة ، ظهرت طائرة الوقود ..

ظهرت ناحية الغرب ، وهى تتجه نحوه مباشرة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت غليظ ، عبر جهاز الاتصال ، يقول :

ـ من بطة الوقود إلى النورس .. دقيقتان قبل مرحلة التوازى .. قم بتخفيض السرعة ، استعدادًا لعملية التزوّد بالوقود .

ضغط (أدهم) زر الاتصال ، قائلاً :

ـ من النورس المصرى إلى بطة الوقود الأمريكية .. تسلمنا رسالتكم ، ويتم الآن تخفيض السرعة ، إلى مستوى يناسب عملية التوازى .

أتاه ذلك الصوت الغليظ ، يقول :

ـ عبارتك غير صحيحة أيها النورس .. المفترض ألا يتم ذكر الجنسيات .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ اعتبر هذا تجاوزًا مشاغبًا أيها الأمريكى .

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول صاحب الصوت الغليظ ، وطائرة الوقود تقترب أكثر :

ـ فليكن أيها المصرى .

خفض (أدهم) سرعة مقاتلته رويدًا رويدًا ؛ حتى تتناسب مع سرعة طائرة الوقود ، التى اقتربت ..

واقتربت ..

واقتربت ..

وفى مناورة مدروسة ، قامت طائرة الوقود بدورة مكتملة ؛ لتعمل على تغيير اتجاهها ، وتنطلق نحو الغرب ، وهى تقترب من مقاتلة (أدهم) ، وترتفع فوقها ، وصاحب الصوت الغليظ يقول ، عبر جهاز الاتصال :

ـ السرعة متناسبة ، والارتفاع مثالى .. استعد لعملية التزوّد بالوقود .

جذب (أدهم) ذراعًا معدنية صغيرة ؛ ليفتح خزان وقود مقاتلته ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه طائرة الوقود تمد أنبوبًا خاصًا ، من خزانها الضخم ؛ ليتصل بفتحة خزان وقود المقاتلة ، و...

وفجأة ، ظهرت تلك المقاتلة الأخرى ..

ظهرت فجأة من الشمال ، وهى تنطلق نحو مقاتلة (أدهم) مباشرة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها قائد طائرة الوقود ، فى دهشة مذعورة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ومع آخر حروف هتافه ، أطلقت المقاتلة الجديدة أحد صواريخها ، نحو مقاتلة (أدهم) مباشرة ، وهى تواصل الانطلاق نحوها ..

وعلى الرغم من المفاجأة ، استوعب ذهن (أدهم) الموقف كله ، فى جزء من الثانية ..

وفى الجزء الثانى من الثانية ، كان قد وضع خبراته كلها موضع التنفيذ ، وجذب عجلة القيادة ، وهو يميل بالجناحين ، ويزيد سرعته ، فى نفس اللحظة ..

ومع مناورته المدهشة ، وسرعة استجابته الفريدة ، تجاوزت مقاتلته ذلك الصاروخ ، على نحو مذهل ، قبل أن تنطلق مبتعدة ، فى مهارة مبهرة ، وذلك الصوت الغليظ ينبعث من جهاز اتصالها ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟! ليس من المفترض أن يحدث هذا .. ليس من المفترض أبدًا .

لم يحاول (أدهم) التعليق على ذلك الهتاف المذعور ، وهو ينطلق بمقاتلته ، وتلك المقاتلة المجهولة تطارده فى إصرار ..

وعلى الرغم من دقة الموقف ، غمغم (أدهم) فى سخرية :

ـ الأمر ليس بالبساطة التى تتصوّرها أيها الوغد .

انخفض بالمقاتلة فجأة ، مع آخر حروف غمغمته ، وترك المقاتلة الأخرى تتبعه لحظة ، ثم انحرف جانبًا بحركة حادة ، ومال بزاوية بالغة الخطورة ، تحتاج إلى مهارة فائقة ..

ولقد حاول قائد الطائرة المجهولة مجاراته ، فانحرف بنفس الحركة الحادة ، ومال بزاوية مقاربة ..

ولكنها ليست مساوية ..

وفى نفس اللحظة ، كان (أدهم) يرتفع بمقاتلته مرة أخرى ، ويدور بها فى مهارة ، ثم ينخفض مرة أخرى ، وهو يغمغم :

- من سوء حظك أن طائرة المقدمة تمتلك دومًا حق تحديد المسار أيها الوغد .

كانت مناورته المدهشة قد عكست الموقف تمامًا ، بحيث أصبح هو فى المؤخرة ، وأصبحت تلك المقاتلة المجهولة فى مرمى نيرانه تمامًا ..

ولقد حاول قائد المقاتلة المجهولة الإفلات من الموقف ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكن الأمر كان يعتمد ، فى تلك اللحظات ، اعتمادًا رئيسيًا على سرعة المناورة والاستجابة ..

وفى هذا المضمار ، كان من العسير أن يتفوق مخلوق ما على رجل المستحيل .. أى مخلوق ..

وفى حسم ، غمغم (أدهم) ، وهو يضغط زر إطلاق الصواريخ فى مقاتلته :

- يؤسفنى حقًا ما سأفعله بك أيها الوغد ، ولكن لا خيار فى مثل هذه المواقف .. إما أنا ، أو أنت .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق أزيز حاد داخل مقاتلته ، قبل أن يضاء لوح أحمر صغير ، فى تابلوه القيادة ..

لوح يحمل عبارة مخيفة للغاية ، فى موقف كهذا ..

عبارة تقول : إن المقاتلة قد تم نزع كل تسليحها القتالى ؛ كإجراء أمنى خاص ..

تم نزع كل تسليحها تمامًا ..

وكان هذا يعنى أن (أدهم) قد أصبح فى مأزق .. فوق المحيط الأطلنطى ..

مأزق حقيقى..

ورهيب .

* * *

٨ - بلا أمل ..

لم تشعر مستشارة الأمن القومى الأمريكية ، فى حياتها كلها بالغضب والسخط ، كما شعرت بهما فى تلك اللحظة ، وهى تتطلّع إلى مركز التحكّم فى الأقمار الصناعية ، والذى تم سحقه سحقًا ، بوساطة مدفع الليزر القوى ، الذى يحمله ذلك القمر الصناعى ، الذى تسيطر عليه الزعيمة الغامضة ..

وفى مرارة لامثيل لها ، قال مدير المخابرات ، وهو يشير إلى الحطام :

- لقد فعلتها .. أدركت أننا سنسعى لاستعادة السيطرة على القمر ، فسحقت محاولاتنا كلها بضربة واحدة .

غمغمت مستشارة الأمن فى مقت :

- ضربة وقائية .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

- بل ضربة تأديبية ، لو شئنا الدقة .. إنها تلقننا درسًا قاسيًا ، وتبلغنا رسالة صارمة ، تقول : إنها ستتخذ موقفًا غاية فى القسوة ، لو حاولنا التصدّى لها .

صاحت مستشارة الأمن فى غضب :

- وهل تتوقَّع منا أن نقف ساكنين مستسلمين ؟!

أجابها فى مرارة :

- بل تسعى لإجبارنا على هذا .

صاحت بكل الحدة :

- يا للحقارة ! إنها تتجاوز كل القواعد ، على نحو بالغ الصفاقة والوقاحة .

بدا مدير المخابرات عصبيًا ، وهو يقول :

- إننا لم نتردّد فى فعل المثل ، عندما كنا نحن الأكثر قوة .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- الأمر يختلف .

أجابها فى اقتضاب حازم :

- كلاّ .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وقالت فى عصبية :

- وما الذى سنفعله الآن .. كيف يمكننا أن نستعيد سيطرتنا على القمر الصناعى ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول بمنتهى المرارة :

ـ لم تعد هناك وسيلة مباشرة للأسف .

صاحت به :

ـ أوجد وسيلة .. هذا عملك .

أشار بيده ، قائلاً :

ـ ليس أمامنا سوى البحث عن وحدة التحكُّم الأرضيـة ، والقضاء عليها .

سألته بكل العصبية :

ـ وكم يمكن أن يستغرق هذا ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه الجزم .

كادت تصرخ فى وجهه غاضبة ، إلا أنها تذكَّرت تهديده السابق ، فانعقد حاجباها ، على نحـو جعل ملامحها شديدة القبح ، وهى تقول :

ـ ابذل قصارى جهدك إذن ..

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها المحمـول ، فالتقطته بعصبية ، قائلة :

ـ من هناك ؟!

أتاها صوت رئيس فريق الأدلة الجنائية ، وهو يقول :

ـ سيِّدتى .. لقد توصلنا إلى نتائج إيجابية .

سألته فى لهفة عصبية :

ـ هل عرفتم من تلك الحقيرة ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا سيِّدتى .

شعرت برجفة باردة تسرى فى جسدها ، وهى تهتف به :

ـ من هى ؟!

سألها مدير المخابرات ، فى تلك اللحظة :

ـ هل توصلوا إليها ؟!

فأشارت بيدها إشارة صارمة قاسية ، وهى تكرِّر :

ـ من تلك الحقيرة ؟!

أجابها رئيس الفريق فى سرعة :

ـ (لورا كيلرمان) .. ملفها يقول : إن ..

قاطعته فى غضب مستنكر :

ـ (لورا كيلرمان) ؟! أى قول أحمق هذا يا رجل ؟! لست أدرى من تلك الحقـيرة بـالضبط ، ولكنهـا ليسـت (لـورا كيلرمان) حتمًا .

بادلها غضبًا بغضب ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟! البصمات التى تركتها خلفهـا ، مسجَّلة دوليًا باسم (لورا كيلرمان) ، وشعرة الرأس ، التى التقطناها من المقعد ، الذى كانت تجلس عليه ، يتوافق حمضها النـووى ، وتتوافق بصمتها الجينية ، بل تنطبق انطباقًا تامًا ، مع المسجَّل فى ملف (لورا كيلرمان) .

امتزج غضبها بحيرتها ، مما ضاعف من عصبيتهـا ، وهى تقول :

ـ ولكن هذا مستحيل ! لقد أعلنت أنها (لورا كيلرمان) ، على شاشة العرض ، فى قاعة اجتماعات الكونجرس .

قال الرجل ، فى عصبية مماثلة :

ـ وهل يثبت هذا ما توصَّلنا إليه أم ينفيه ؟!

تمتمت مستشارة الأمن ، وقد بلغت حيرتها مبلغها :

ـ ولكنها كانت ترتدى قناعًا .

قال فى ضجر عصبى :

ـ ربما كانت تحاول إخفاء ملامحها .

قالت فى حدة :

ـ القناع كان يحمل ملامح (لـورا كيلرمـان) ، كمـا تبدو فى ملفها .

مرَّت لحظة من الصمـت ، قبـل أن يقـول الرجـل فـى صرامة :

ـ سيِّدتى .. لست أستوعب جيِّدًا تلك التعقيدات ، التى تتحدثين عنها ، ولكننى واثق من الأدلة ، التى توصَّلنـا إليها ؛ فالأدلة المادية لا تكذب أبدًا ، ولقد أكَّدت أن غريمتنا هى (لورا كيلرمان) ، قبل أن نعلم أنها قد أعلنت هويتهـا ، وهذا يحسم الأمر تمامًا ، ولـو أنكم ترفضـون الاعتـراف بالنتـائج التى توصَّلنا إليهـا ، فيمكنكم الاستعانة بفريـق آخر .

وحمل صوتـه مزيجًا مـن الغضب والصرامـة ، وهـو يضيف :

ـ لو وجدتم فريقًا أفضل .

قالها ، وأنهى المحادثة على نحو حاد ، ضاعف من غضب مستشارة الأمن القومي وحنقهـا وحيرتهـا ، فأعادت الهاتف إلى جيبها ، وهي تقول في مقت :

- هناك من يعبث بنا .

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول :

- لقد استوعبت هـذا ، من ردودك على محدثك .. لقد أنبأتهم الأدلة أنها (لورا كيلرمان) .

هتفت في حنق :

- هل يمكنك أن تصدق هذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب في حزم :

- كلا .

ثم التقط هاتفه المحمول ، مستطردًا :

- وهذا يحتاج إلى إجراء تحريات واسعة ، حول الـ ..

قاطعه رنين هاتفه المفاجئ ، فضغط زر إتمام الاتصال في سرعة ، وهو يقول في احترام :

- أوامرك يا سيادة الرئيس .

رأته مستشارة الأمن يستمع إلى الرئيس الأمريكي ، في انتباه بـالغ ، دون أن يعلّق بحرف واحد ، حتى أنهى المحادثة ، قائلاً في توتر ملحوظ :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. سنحضر خلال اثنتي عشرة دقيقة فحسب .

سألته في لهفة ، وهو يعيد الهاتف إلى جيبه :

- ماذا حدث ؟!

أطلق من صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يجيب في توتر :

- الرئيس يريدنا في مكتبه فورًا ؛ فلقد انتقلت تلك الحقيرة إلى المرحلة الجديدة ، وبدأت في فرض إرادتها التامة .

وهنا تضاعف غضب وسخط مستشارة الأمن القومي الأمريكية ..

تضاعف ألف مرة ..

* * *

« هل تعتقدين أنهم سيرضخون هذه المرة ، أيتها الزعيمة .. »

ألقى قائد قواتها السؤال ، فى اهتمام مشوب بالقلق ، ولكن الزعيمة الغامضة نفثت دخان سيجارتها الحمراء فى عمق ، وقالت فى ثقة بالغة ، وسخرية واضحة :

ـ ليس أمامهم خيار آخر .

تألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ مائة مليار دولار ؟! ياله من مبلغ هائل !! إنه كفيل بأن يجعل منا أثرى أثرياء العالم بلامنازع .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ إنها مجرد بداية .

هتف بكل دهشة الدنيا :

ـ مجرد بداية ؟!

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قائلة :

ـ بالتأكيد يا رجل .. هذا المبلغ ، على الرغم من ضخامته ، يكفى بالكاد لبناء ذلك الجيش الصغير ، الذى سيمنحنا القوة الحقيقية ؛ فخطتى تبلغ ذروة من الطموح ، لم تخطر ببال أعظم عظماء التاريخ .

قال فى حيرة :

ـ مائة مليار دولار مبلغ رهيب ، يكفى لشراء دولة كاملة .

أشارت بسبابتها ، قائلة فى حزم :

ـ ولكنه لا يكفى لبناء دولة قوية .

هتف بكل دهشة الدنيا :

ـ وهل تسعين لبناء دولة أيتها الزعيمة ؟!

أطلقت ضحكة عابثة طويلة أربكته ، قبل أن تقول :

ـ عقلك يعجز عن استيعاب الفكرة .. أليس كذلك ؟!

غمغم فى عصبية :

ـ أعترف بهذا .

أطلقت ضحكة أخرى مستفزة ، ونفثت دخان سيجارتها بمنتهى العمق ، ثم أدارت عينيها إليه ، قائلة :

ـ افعل ما نصحتك به إذن .

تطلع إليه فى تساؤل متوتر ، فمالت نحوه ، وبدت ساخرة عابثة ، وهى تستطرد فى بطء :

ـ توقف عن التفكير .

قالتها ، وعادت تطلق ضحكتها العابثة الساخرة الطويلة ، على نحو استفز كل ذرة من كيانه ، حتى تمنى لو يسحب مسدسه ، ويخرسها إلى الأبد ، برصاصة فى منتصف جبهتها ، ولكن رقم المائة مليار دولار تردد فى ذهنه بقوة ، وأقنعه بالاحتمال والتماسك ، وهو يقول :

ـ فكرة الماسات النقية عبقرية بحق(*) .

هزت كتفيها فى لامبالاة ، قائلة :

ـ أراهن أنهم قد استنتجوها مسبقًا ، فهذه هي الوسيلة الوحيدة لنقل مبلغ كهذا ، دون أن تحتاج إلى سفينة ركاب ضخمة .

سألها فى اهتمام :

ـ ولكن هل سيجدون كل هذه الكمية من الماس ؟!

قالت فى هدوء :

ـ لن يبذلوا الكثير من الجهد .

(*) الماس : حجر كريم ، تركيبه كربون نقى متبلور ، وبلوراته تتبع مجموعة المكعب ، وهي شفافة ، أو نصف شفافة ، وقد تحوى ظلاً أصفر ، أو أزرق ، أو أخضر ، وأقدم موطن لاستخراجه (الهند) و(بورنيو) ، ويعتبر أكثر المواد صلادة ، أى أنه قادر على خدش كل المواد الأخرى .

ثم مالت نحوه مرة أخرى ، مستطردة فى جذل :

ـ لقد أخبرتهم أين يجدونها بالضبط .

هتف فى انبهار :

ـ حقًا ؟!

ثم سأل فى لهفة :

ـ وهل يوجد مكان واحد ، فى العالم كله ، يمكن أن يحوى هذا المقدار من الماس النقى ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وأشارت بيدها ، قائلة :

ـ من الواضح أنك تجهل الكثير عن عالم الماس يا هذا .. فطوال الوقت ، يتم استخراج الماس ، من مئات المناجم ، فى (أوروبا) ، و(إفريقيا) ، و(أمريكا الجنوبية) و(آسيا) ، وكل ما يتم استخراجه ، ينقل إلى حيث يتم صقله وتصنيفه ، إلى أنواع شديدة النقاوة ، وأخرى أقل نقاوة ، وهكذا ، حتى نصل إلى الأنواع ضعيفة النقاوة ، والتى تستخدم فى الصناعة ، وفى قطع المواد وحفرها .. ولو تم طرح كل ما يستخرج من ماس ، لانخفض سعره ، وضاعت قيمته فى الأسواق ، لذا فهناك مراكز معتمدة ، فى (أوروبا) والولايات المتحدة الأمريكية ، يتم فيها تخزين الماس ، وفقًا لدرجات نقائه

المختلفة ، بحيث لا يطرح منه فى الأسـواق ، سوى كميات محدودة ، تضمن الحفاظ على سعره ، وبقـاءه على القمـة ، بين مختلف الأحجار الكريمة(*) .

وتوقفت لحظة ؛ لتنفث دخان سيجارتها فى استمتاع ، قبل أن تكمل فى استرخاء :

ـ وأحـد أكبر مراكز التجميع والحفظ هـذه ، يوجد فى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ، ووفقًا لمـا جمعتـه مـن معلومات ، فهو يحوى ما قيمته مائة وعشرة مليارات من الدولارات ، فى شكل ماس بالغ النقاوة ، أو جيد النقاوة إلى حد كبير ، وهذا يعنى أننى لا أتميز بـالطمع الشديد ، فقد تركت لهم ما يساوى عشرة مليار دولار من الماس .. أليس كذلك ؟!

نطقت الجزء الأخير من عبارتها ، فى سخرية واضحة ، فقلب قائد قواتها شفتيه ، وغمغم :

ـ بلى أيتها الزعيمة .

(*) حقيقة .

ثم عاد يتساءل فى اهتمام :

ـ ولكن ألن يؤدى طرح كل هـذه الكمية من الماس إلى انخفاض سعره ؟!

قالت فى سرعة :

ـ بل إلى انهياره تمامًا .

بدت عليه دهشة عارمة ، وهو يقول :

ـ كيف سنربح منه إذن ؟!

أشارت بسبابتها ، قائلة :

ـ سنربح منه أكثر مما تتصور .

هتف بكل الدهشة :

ـ وكيف ؟!

صمتت طويلاً هذه المرة ، قبل أن تلقى سيجارتها بعيدًا ، وتقول بمنتهى الصرامة :

ـ لا ترهق عقلك بالتفكير .. اترك هذه الأمور لى .

شعر بغضب شديد فى أعماقه ، ولكنه غمغم :

ـ فليكن .

ثم أضاف فى سرعة ، وكأنه يحاول تجاوز الموقف ، الذى يثير غضبه وتوتره :

ـ هل تتوقعين أن يصل المصرى إلى (واشنطن) ، على الرغم مما فعلناه ؟!

صمتت طويلاً مرة أخرى ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ سيحتاج إلى الكثير من الحظ ليفعل ، فكل مهاراته وخبراته لن تصلح هناك ..

وتوقفت لحظة ، ثم استطردت فى شراسة :

ـ فى قلب المحيط .

ومرة أخرى ، شعر الرجل بالخوف منها ..

الخوف بلا حدود ..

* * *

كان الموقف خطيراً للغاية بالفعل ..

صحيح أن (أدهم) يقود مقاتلة أكثر حداثة ، وأكثر قوة ..

ولكن دون سلاح واحد ..

الوسيلة الوحيدة ، التى تبقت أمامه ، هى أن يواصل مطاردة تلك المقاتلة المجهولة ؛ حتى يمنعها من اتخاذ موضع ، يتيح لها إطلاق صاروخها الثانى نحوه ..

وحتى هذا لم يكن متاحًا ..

فوقود مقاتلته يتناقص بمنتهى السرعة ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

ولن تمضى دقائق قليلة ، حتى ينفد الوقود تمامًا ..

دقائق قليلة جداً ..

وهذا يعنى أنه لن يربح معركته هذه المرة ..

لن يربحها أبدًا ..

لن يمكنه أن يربحها ..

وعلى الرغـم مـن ثقته فى هـذا ، واصل المطاردة بكل القـوة ..

وكل الإصرار ..

ـ « ما تفعله لاطائل وراءه أيها المصرى .. »

التقط جهاز الاتصال فى مقاتلته العبارة ، بلهجة ساخرة ، وصوت حاد ، ولكنة غير أمريكية ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وسمع صاحب الصوت الغليظ يهتف :

ـ رباه ! لديه شفرة الاتصال الخاصة بنا .

لم يحاول (أدهم) التعليق على العبارة ، وقائد المقاتلة المجهولة يواصل ، عبر جهاز الاتصال فى مقاتلته :

ـ أعلم جيدًا أنك لاتمتلك أية أسلحة ، وأن وقودك على وشك النفاد .. أولئك الحمقى الأمريكيون خشوا أن تستخدم مقاتلتهم ، فى ضرب أهداف عسكرية لديهم ، فنزعوا تسليح مقاتلتك تمامًا ، قبل أن يسمحوا لك بقيادتها .

كان (أدهم) يشعر بالغضب لهذا الموقف ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال فى سخرية :

ـ وهل تعتقد أن هذا يضاعف من فرصتك فى إسقاطى ؟!

أجابه قائد المقاتلة المجهولة على الفور :

ـ ومن سيحاول حتى أن يفعل ؟!

رأى (أدهم) المقاتلة المجهولة تنحرف ؛ لتواجـه طائرة الوقود مباشرة ، وقائدها يواصل :

ـ هناك هدف أيسر .

ومع آخر حـروف كلماتـه ، انطلـق صاروخـه الثانى والأخيـر ، نحـو طائرة الوقـود مباشـرة ، ونقـل جهاز الاتصال ، فى مقاتلة (أدهم) ، صوت قائدها الغليظ ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس ..

وقبل أن تكتمل صرخته ، دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، أضاء السماء كلها ، بكتلة لهب هائلة .

مع اشتعال كل الوقود ، الذى حوته خزانات الطائرة الكبيرة ، وانبعث معه موجة تضاغطية عارمة ، أخلت بتوازن مقاتلة (أدهم) ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها المقاتلة الأخرى مبتعدة ، بأقصى سرعتها ..

وبكل ما يمتلك من قوة ، وخبرة ، ومهارة ، راح (أدهم) يقاتل ؛ لاستعادة السيطرة على المقاتلة ، وهو يدرك جيدًا أن انفجار طائرة الوقود ، قد وضعه فى مأزق رهيب ..

فحتى لو استعاد السيطرة على المقاتلة ، فإن الوقود سينفد خلال لحظات قليلة ..

وعندئذ ستهوى مقاتلته حتمًا ..

فى قلب المحيط .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(الغامضة)



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

146



المأزق

- لماذا طالبت المخابرات الأمريكية بعزل (أدهم صبرى) من منصبه ؟!
- ما سر تلك الزعيمة الغامضة ، التى تحاول السيطرة على الموقف العالمى كله ؟!
- ترى هل ينجح (أدهم) فى تجاوز الأزمة . وهل يجد مخرجًا من هذا (المأزق) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة . وقاتل بعقلك وخيالك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم (الغامضة)

